

مُجْتَمَعُ عَصْرِ السَّعادَةِ

عثمان نوري طوباش







اسطنبول ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م

إسطنبول: ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م
اسم الكتاب باللغة التركية: Asr-ı Saadet Toplumu
الترجمة للعربية: د.سناء خرسه
مراجعةو تصحيح وتدقيق: الدكتور.آدم أقيـــن
تصميم وتنضيد: حسام يوسف
ISBN: ٩٧٨-٩٩٤٤-٨٣-٣٩٥-٠
طباعة وتغليف: مطبعة دار الأرقم
Language : Arabic



العنوان:
Address: Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60/3-C Başakşehir, Istanbul
Phone: (+90 212) 671 07 00 Pbx Fax:+90 212) 671 07 48
www.islamicpublishing.org info@islamicpublishing.org

مجتمع
عصر السعادة

تأليف

عثمان نوري طوبّاش

ترجمة

د. سناء خرسه

مراجعةو تصحيح وتدقيق

الدكتور.آدم أقيـــن

مُقدِّمة

الحمد للّه الذي جعلنا من أمة محمد ﷺ، والذي تفضّل علينا بأن جعله نموذجاً ومثالاً فريداً لنا في أكمل الأخلاق. والصلاة والسلام على سيدنا رسول اللّه ﷺ وعلى آله وأصحابه الكرام الذي ربّاهم، ورَفعهم كالنجوم في أعالي السماء، والمتفضل بجعل عصرهم عصر السعادة منحة وهدية للإنسانية جمعاء.

عصر السعادة: يعني زمن السعادة والسكينة، أناسه كانوا الأسعد والأوفر حظاً لمعاصرتهم الرسول ﷺ.

عصر السعادة: زمن هداية الأنسانية حيث نزل فيه القرآن الكريم، وتشرفت الإنسانية ببعثة النبي وحياته.

عصر السعادة: عصر الحضارة والفضائل المنقطعة النظير، مؤسسها الصحابة الكرام الذين بلغوا بأخلاقهم ورحمتهم وميزاتهم الإنسانية ذروة الكمال والنضوج في تاريخ الإنسانية، ثم نشروا نور النبوة في البلاد والعصور الأخرى.



تعبير عصر السعادة يمكن أن يطلق أحياناً على عصر الخلفاء الراشدين والتابعين، وتابعي التابعين، وذلك مصداقاً لقوله ﷺ في الحديث الشريف الذي يقول:

"خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ..." (البخاري،فضل أصحاب النبي، ١/ ٣٦٥٠)

من هذه الحيثية عصر السعادة هو ذلك الزمن الإستثنائي من تاريخ الإسلام والذي يشار إليه بالإعجاب والإشتياق.

في تفسير سورة العصر يرى بعض علماء التفسير أن اللّه ﷻ عندما أقسم في مطلع السورة بكلمة العصر قصد منها صورة "تمثيلية" لمعنى آخر وهو عصر الصحابة، أي عصر السعادة، لأنه أظهر وفرق بين الحق والباطل بصورةٍ نهائيةٍ.

عصر السعادة لا يمكن وضعه بإنه عصر الرفاهية والراحة النفسية والسعادة الدنيوية بل إنه عصر مليئ بالمشقة والصعوبات وأقسى درجات الجدال، ولقد أقام الرسول ﷺ دستور الحياة باجتماع مقوماته الهامة ألا وهي نزول القرآن الكريم وحياة النبي ﷺ، وتوافر نعم



الإسلام، حيث أَمَّنَ الدستور للإنسانية السعادة والسكينة في الدنيا والآخرة، ورفعها إلى الحق والعدالة والأخلاق الحسنة، بعد أن عاشت في الظلم والإستبداد والقهر والجور.

والناظر في تاريخ الإنسانية يرى أن أكبر وأهم الإصلاحات والتحولات في تاريخها إنما حدثت في عصر السعادة، فالسعادة والأنوار الروحانية العلوية حلت محل الظلمة السفلية، والأرواح تحررت من أسر الأجساد، لهذا أسرع الناس مهرولين من الشقاوة إلى السعادة.

من هذه الناحية لا تعرف جماليات الإسلام المنقطعة النظير والمثيل وخاصة الرقة واللطافة والظرافة والتي أخرجت الإنسانية من الظلمات إلى النور إلا ّبالخوض في صميم قلب عصر السعادة.

عزيزي القارئ: كتابنا الذي بين يديك فيه تلخيص لمقالات سابقة، وإضافات على بعض المقالات بالشرح والتفصيل والأمثلة، وغايتنا هي إدراك ماهية حقيقة عصر السعادة المبارك بالصورة الفضلى، وبذلك نكون قد



ساهمنا في إحياء اللوحات الأخلاقية والفضائل المتعددة من ذلك العصر لتكون صورة حية ماثلة أمام عينيك في الإيمان والتعامل والأخلاق والعبادة، والقدوة والأسوة الحسنة لك في ذلك كله.

أخيراً أقدم الشكر الجزيل لولدنا الدكتور مراد قيا على جهوده المباركة التي بذلها في إخراج هذا الكتاب، وأرجو من اللّه تعالى أن يقبله كصدقة جارية له، وأن يجعلها في ميزان حسناته.

عثمان نوري طوباش
١٤٣٣/ ٢٠١٢
أسكدار-اسطنبول



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ...﴾

(التوبة، ١٠٠)



مجتمع عصر السعادة

مجتمع عصر السعادة

لقد عرفت الإنسانية في العصر الجاهلي أشد الفترات ظلمة، هذه الظلمة حالكة السواد كالقطران، حيث ساد المجتمع الظلم والإضطهاد حتى بلغ الذروة في هذا المجال. اشتعلت نار الفتنة والفساد وحولت دعوات الثأر والإنتقام الصحراء إلى بحيرة من الدم.

كان الحق والقانون ملكاً للقوي دائماً، من يملك القوة في يديه يسحق الضعفاء والمساكين، يقول الشاعر المرحوم محمد عاكف:

"(كان) الإنسان بدون الأسنان يأكله إخوانه".

بهذا الشكل عُرِفت فظاعة ووحشية الحياة فيها، المظلومون الذين سحقوا تحت أقدام المستبد يجادلون في صراخ مؤلم من أجل البقاء على قيد الحياة.



اعتقادات أهل الجاهلية انحدرت بالناس إلى أسفل سافلين:

في العصر الجاهلي فسد الإيمان والإعتقاد وانقسم الناس حسب ذلك إلى فرق فمنهم من كان يؤمن بمظاهر الطبيعة مثل الأحجار والنار والأشجار والتلال، معتقدين بأن القوة الإلهية قد تجلت عليها وأعطتها القدسية.

ومنهم من عبد الشمس والنجوم معتقدين بأن هذه المعبودات لها قدسية خاصة توصلهم إلى تعظيم اللّه ﷻ.

ومنهم من عبد الكائنات الغير المرئية مثل الملائكة والجن والشيطان ظنّاً منهم أن المبالغة في تبجيلها وتعظيمها سيُوصلهُم للقربى عند اللّه ﷻ.

ومنهم من يدعي أنه يؤمن باللّه ﷻ ويشرك معه معبودات أخرى أو موجودات مختلفة أو مصنوعات صنعوها بأيديهم، وعلى الرغم من ذلك هم يدّعون أنهم من سلالة أبناء حضرة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ولكنهم حرّفوا وبدّلوا عقيدة التوحيد الأصلية، وابتعدوا عن الحنفية السمحاء، وهم يشركون مع عبادة اللّه الواحد الأحد كل ما يأتي في عقولهم مِن شيء.



ومنهم من أنكر اللّه ﷻ واليوم الآخر، وآمن واعتقد أن كل شيء إنما هو عبارة عن العالم المشخص والمصور فقط.

قصة حارث والد النبي ﷺ من الرضاع:

قدم الحارث بن عبد العزى، أبو رسول الله ﷺ من الرضاعة، على رسول الله ﷺ بمكة، فقالت له قريش حين أنزلت عليه:

ألا تسمع يا حارث ما يقول ابنك هذا!

قال: وما يقول؟

قالوا: يزعم أن الله يبعث بعد الموت، وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه، ويكرم فيهما من أطاعه، وقد شتت أمرنا، وفرق جماعتنا، فأتاه

فقال: أي بني مالك ولقومك يشكونك ويزعمون أنك تقول إن الناس يبعثون بعد الموت، ثم يصيرون إلى جنة ونار؟!

فقال رسول الله ﷺ:

"نعم، أنا أزعم ذلك، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبة لقد أخذت بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم"



فأسلم الحارث بعد ذلك، فحسن اسلامه، وكان يقول حين أسلم:

لو قد أخذ ابني بيدي فعرفني ما قال لم يرسلني إن شاء الله حتى يدخلني الجنة. (انظر: ابن إسحاق، السيرة، ٢١٨، جـ١، ص ٢٣٥؛ السهيلي، روض الأنوف، جـ١، ص ٢٨٤، ٢٨٥)

النتيجة، ان الناس ضلّوا في العصر الجاهلي باعتقاداتهم الفاسدة حتى وصلوا إلى حالٍ مضحكٍ وأي حالٍ مضحكٍ أكثر من أن أفضل المزايا الإنسانية مثل العقل والإدراك والشعور والتفكير انحدرت حتى عاش الناس في مسرحية هزلية حزينة، كان يصعب وجود فكر صائب ومستقيم في ذلك الزمن، حتى أن الأفكار الضالة سيطرت وهيمنت على عقول الناس ونتيجة لذلك فإن المرأة في المجتمع الجاهلي قد سحقت وإن الأمهات قد أهينت وحقّرت، وكان النظر إلى البنات نظرة عارٍ وهوان.

إن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال:

يا رسول الله إنا كنا أهل جاهلية وعبادة أوثان، فكنا نقتل الأولاد، وكانت عندي بنت لي فلما أجابت،



وكانت مسرورة بدعائي إذا دعوتها، فدعوتها يوماً، فاتبعتني فمررت حتى أتيت بئراً من أهلي غير بعيد، فأخذت بيدها فرديت بها في البئر، وكان آخر عهدي بها أن تقول:

يا أبتاه يا أبتاه

عندما سمع النبي بحر الرحمة هذا الكلام انهمرت الدموع من عينيه النورانيتين، حتى وكف دمع عينيه،

فقال له رجل من جلساء رسول الله ﷺ، أَحْزَنْتَ رسول الله ﷺ،

فقال له ﷺ:

"كُفَّ فَإِنَّهُ يَسْأَلُ عَمَّا أَهَمَّهُ"

ثم قال له ﷺ:

"أَعِدْ عَلَيَّ حَدِيثَكَ"

فأعاده، فبكى حتى وكف الدمع من عينيه على لحيته ﷺ، ثم قال له:

"إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ مَا عَمِلُوا، فَاسْتَأْنِفْ عَمَلَكَ" (الدارمي، المقدمة، ١، ص ١٩٠٦/ ٢)



لقد وصلت الإنسانية في ذلك الوقت إلى حافة الخندق الناري، وقد تهدمت الحياة الإجتماعية ووَصل الأفراد إلى حافة الهلاك.

أنقذ الإسلام بقدومه الناس من خطر مخدق بهم، وألف منهم مجتمع عصر السعادة النزيه.

يقول اللّه ﷻ في كتابه العزيز:

﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

(آل عمران، ١٠٣)

تركوا العبادات والمعاملات مُقابل المصالح الدنيوية

نُسِيَت معظم العبادات وتم تحريف الباقي على حسب مصالحهم الدنيوية. فمثلاً بدّلوا عبادة الحج والعمرة حسب اعتقاداتهم الضالة حتى طمست معالمها، كانوا يرخصون في الرذائل لتسير مع العبادات فمثلاً الحجاج يُطّوفون عراة حول الكعبة ثم يعطونهم



الملابس، وبهذا وصلوا إلى أقصى درجات التكبر والغرور.

كانت القوة هي القاعدة الوحيدة في المعاملات، فالقوي يملك حق الأولوية والتفضيل، والضعيف لا حق له، لا يوجد أي أثر للسكينة والأمن والنظام في المجتمع الجاهلي.

على الرغم من وُجود الصفات الأخلاقية إلاّ أنها ابتعدت عن أصلها:

بعض القواعد من الأوصاف الأخلاقية بقيت حية ولكنها فقدت الغاية منها لأنها استندت إلى المصالح النفسية بين الإفراط والتفريط.

فمن الفضائل أن ترى مشاهد القوة تحت مسمى الشجاعة، ومن الفضائل أن يسرف تحت مسمى الكرم، وتحت مسمى الشرف والعفة ارتكبت أسوأ الجنايات في العالم، وكانت البنات توأد وهي حية تحت التراب.

نعم، أهل الجاهلية كانوا شجعان وسلاحهم لا يفارقهم في أي وقت فصفة البطولة والشجاعة كانت من صلب شخصيتهم، لكنها كانت توزن بعدد قتلاهم في سبيل القبيلة والعصبية. مشاهد شجاعتهم نتيجة



لأنانيتهم وغرورهم والقصد منها إثبات فضيلة الذات والفرد والقبيلة، وأما الحروب المتلاحقة المستعرة بين القبائل فقد جعلتهم خاسرين مادياً ومعنوياً.

أزال الإسلام التقاليد الخاطئة من المجتمع الجاهلي، وأسّس مكانها دستور الحياة الكامل الفاضل. ألجم الإسلام غضب الإنسان الجاهلي العارم الجامح وأبدله بالأوصاف العالية مثل الصبر والحق والعدالة.

حوّل الإسلام بالتزكية عن النفس والعواطف شجاعة الإنسان الجاهلي من شجاعة حمقاء إلى شجاعة حكيمة عقلية. إذن قوم الإسلام الشجاعة النفسية إلى غايات إيجابية ووجّهه أن يستخدمها لمقاصد علوية وأهداف خاصة مثل إحقاق الحق والعدالة.

الإنسان الجاهلي كان كريماً مِضيافاً لهدف أعلى وهو نيل مدح النفس والقبيلة، واحترام وتبجيل الناس له. هذه الصفات العلوية من الأصالة والسخاء والشجاعة كانت طريقاً موصلاً للشهرة ولنيل إعجاب الناس وإرهابهم، لهذا السبب كان عدد الذبائح يتراوح بين ست إلى سبع أغنام لصنع الكبد المشوية فقط ويرمى الباقي منها.



خص الإسلام على صفة الكرم والضيافة وأثنى عليها ولكنه أضفى عليها محتوى أخلاقياً لأن المسلمين يكرمون الناس طلباً لرضاء اللّه ﷻ فقط دون الرياء والسمعة، وهذا ناتج عن أن قلوبهم شغلت بفكرة رضاء اللّه مالك الملك، ولأنهم آمنوا أيضاً بأنهم أمناء[1] على هذا الملك والمال وهم مسؤولون في صلاحية محدودة للتصرف فيه، وأن هذا الملك إنما هو أمانة أودعها اللّه عندهم وعليهم أن يتصرفوا فيه وفق المسلك الضروري الذي رسمه اللّه لهم ولغاية هامة جداً، ألا وهي رضاء اللّه ﷻ.

الملك للّه ويجب أن يستعمل في خدمة الخالق وعباده وبهمة وإرادة المخلوق.

قال رسول اللّه ﷺ:

"...**اليد العليا خير من اليد السفلى**" (البخاري وصايا ٩/ ٢٧٥٠؛ مسلم، زكاة، ٩٧/ ١٠٣٦)

إذن الغاية والمقصد السامي في الإسلام من وراء الإنفاق هو رضاء اللّه ﷻ، لذا فقد وجب على المسلم الإبتعاد عن الغرور والسعي وراء الأغراض الدنيوية.

١ أُنظر: سورة آل عمران، ٢٦؛ سورة النور، ٣٣



لقد علَّم وفهَّم القرآن كل الناس هذه الآية الكريمة:

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان، ٩)

كان الإسلام قد نهى عن الإسراف تحت مسمى الكرم ففي مجتمع عصر السعادة لا يبذر أي جزء من الذبائح، وبحسّ وشعور الكرم والإيثار كان الرأس من الغنم يتجول من أسرة إلى أخرى حتى تعود إلى الأسرة الأولى.

حياة الصحراء وجهت الإنسان الجاهلي نحو فكرة الحرية المطلقة أو الحرية بلا قيود وحدود. لا توجد في الصحراء العربية حكومة ولا إدارة مركزية، الناس ما عرفوا أي شكل من السيطرة، ووصفوا بالعصيان والتمرد، الوحدة الإجتماعية تماثلها في هذه الحال غالباً لا توجد المؤسسات والأنظمة لتنفيذ القانون وتأييد الحقوق، تحلّ المشاكل عن طريق مجلس الحكماء الذي يختار عادة بسرعة أو غالباً ما تحل بقانون الغاب أو بالسلاح.

الإسلام رفض فكرة الحرية المطلقة أو الحرية الممنوحة لبعض الأفراد دون غيرهم، وأعلن صراحة أن



عبداً مؤمناً أفضل من مشرك حرٍ[2]، هذا الإعلان أزعج وأثار غضب المشركين وجاء الرد السريع من السادات والأحرار الذين أبلغوا رسول اللّه ﷺ أن شرطهم للجلوس معه ومحادثته هو طرد العبيد والضعفاء من حوله.[3]

أخلاق الإسلام: لقد قوّم الإسلام فكرة الحرية على الأسس الأخلاقية، وأعطى الجانب الروحي المقام الأول فيها حيث تم تحضير وتأمين الحلول لإيجاد تحديد ذاتي وداخلي من وجدان الإنسان لحريته، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق، ١٦)

وأيضاً قوله تعالى:

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾

(البقرة، ٧٧)

ففي هذه الحال وجب على المسلم التحكم والسيطرة على حركاته وميوله ورغباته. لذا فقد أحدث المفهوم الجديد لفكرة الحرية الإسلامية انقلاباً سريعاً

---

٢ أُنظر: سورة البقرة، ٢٢١

٣ أُنظر: سورة الكهف، ٢٨



وعميقاً في نفسية وروح الإنسان الجاهلي وإدراكاته ومفاهيم الحياة وعالم القيم والمثل لديه.

الإنسان من نظرة الإسلام واقع تحت سيطرة خارجة عن حدود البشرية وأخرى وجدانية نفسية وأخرى سيطرة ظاهرية من الحكومة والقانون، فعندما تقع الخلافات أوالمشاكل من أي ناحية كانت، فتُحَلُّ حسب أحكام وشريعة اللّه ورسوله لا حسب شريعة الغاب والسلاح لأنهم قبلوا بإيجاب طاعة اللّه ورسوله وأولي الأمر منهم.[٤]

فكرة التعاون والمساعدة ارتبطت في عهد الجاهلية بالعصبية القبلية، ولا يمكن الخروج عنها إذ أن الإنسان الجاهلي لا يرحم أحداً خارج قرابة الدم، في نظره الإنسان والمخلوقات الأخرى تُقَيَّمُ حسب المنفعة والمصلحة منها، لذلك انتشر بينهم غصب أموال الناس، والغبن الفاحش في الأسعار، والإمتناع عن دفع أجرة العمال عند القدرة على ذلك.

٤ أُنظر: سورة النساء، ٥٩



الإسلام خَلَّصَ فكرة التعاون والمساعدة من الإرتباط بالقبيلة وقومها على مبدأ وشعور حب الإنسان لغيره والإيثار له، وبناء على دستور الأخلاق وحس الرحمة.

أوجد الإسلام فكرة الأخوة الإيمانية، ونظر إليهم كأنهم أعضاء مختلفة في بدن واحد. قال رسول اللّه ﷺ:

"**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا...**" (البخاري، مظالم، ٤/ ٢٤٤٤)

الصحابة الكرام رضي الله عنهم تعجبوا ودهشوا لأنها قاعدة أساسية في النظام القبلي. فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟

فردَّ عليه النبي ﷺ برد إسلامي يدل على رقة الإسلام ولطفه وقال ﷺ:

"**تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**" (انظر: البخاري، إكراه، ٦/ ٦٩٥٢؛ مظالم، ٤/ ٢٤٤٤؛ الترمذي، فتن، ٦٨)

هكذا أعاد الإسلام تقويم مفهوم المساعدة الجاهلي إلى جوهره الأصلي وغايته الحقيقية ألا وهو التعاون على البر والتقوى، ومنع الإثم والعدوان، هذا ما صرحت به الآية الثانية من سورة المائدة.[٥]

---

٥ اُنظر: سورة المائدة، ٢



إنسان عصر السعادة، المعجزة الكبرى النبي ﷺ

يقول الدكتور القرافي الباحث في مجال الحقوق الإسلامية: "تكفي معجزة النبي ﷺ الكبرى في تربيته لأصحابه الكرام وحدها دليلاً على صدق نبوته، حتى وإن لم يكن سواها".

إنَّ تأثير محمد رسول اللّه ﷺ والأخلاق الإلهية والتربية النبوية بمثابة المعرفة السرية (إكسير الحياة) التي حوّلت أهل الجاهلية أنصاف الوحوش إلى الصحابة الكرام رضي الله عنهم الذين لا يزال التاريخ يغبطهم حتى الآن، وأحدثت مدنية الفضائل الخيالية. وصار أهل الجاهلية الجناة مثقفين، والوحشيون مدنيين، تحوّل المجرم صاحب الشخصية السفلية إلى متقٍ، أي تحولت حالهم فعاشوا في ظل حب اللّه عز وجل والخوف منه. فصاروا أصحب الرقة القلبية والصلاح فوق العادة.

تخيلوا بأن إنساناً ذا طبيعية وحشية قاسٍ كالحجر، حتى أنه يَشُدُّ ابنتها من صدر أمها ويدفنها وهي على قيد الحياة، حتى أنه يعتبر العبد الذي يملكه كمال بسيط ويعامله معاملة خارجة عن حدود الإنسانية كمعاملة الحيوان.



هذا الإنسان الجاهلي القاسي أحدث بعد الهداية مدنية الفضائل في العلم والأخلاق والأدب من خلال تعميق مشاعر ووجدان الإنسانية لديه وكان الناس في مستوى أسفل من مستويات المدنية والإنسانية، وبعد أن عاشوا في ظل أحكام الإسلام وأخلاقه وصلوا إلى أعلى مستوياتها وإلى قمتها كالوصول مثلاً إلى قمة جبال ايفرست.

التربية على المكارم والمثل

مجتمع الجاهلية ما استطاع أن يربي إنساناً محترماً ذا قيمة طوال العصور، ولم تنتج شخصيات نموذجية مثالية للإنسانية إلا بمعية وتربية وإرشاد النبي ﷺ، هذه الشخصيات المتزينة بالصفات السامية نشرت الفتوحات الإلهية، والفيوضات النبوية في كافة أنحاء العالم حتى صارت مشاعل للإيمان والعلم والعرفان، وما استكانت وما ملّت في سبيل ذلك، الأفئدة منارة وتكية والقلوب كسبت منهجاً تنظر من خلاله إلى المخلوقات بنظر الخالق، واعتباراً لنظر الخالق إلى المخلوق. النور الذي نزل في الصحراء وَزَّعَ على الإنسانية الحقَ والعدالةَ وذلك بأخذ الأزلية تحت جناحي الرحمة.



مؤمنو عصر السعادة الذين ربّاهم النبي ﷺ القدوة الحسنة، عاينوا حقيقة النبي ﷺ الظاهرية والباطنية، كانوا مجمتع العلم والمعرفة والرحمة والرقة واللطافة، يعتبر هذا العصر بحق عصر معرفة اللّه ﷻ ورسوله ﷺ عن قرب، وذلك من خلال التفكير العميق الذي ركّز فيه الصحابة الكرام ﷺ على فكرة التوحيد التي وفّقتهم لإزالة آلة الهوى والهوس من القلوب والحرص النفسي على المصالح الدنيوية، وبذلك انتقل مفهوم المال والنفس من الهدف والغاية إلى الوسيلة.

ذاق الصحابة لذة الإيمان وتوسعت الرحمة وعمت كالبحر، وأصبحت الخدمة مسلك الحياة وشوهدت الشخصية الإسلامية بالفداء والتضحية.

الصحابة ﷺ تحملوا المشاق والصعاب العديدة والكبيرة مثل تحمل مشقة السفر لمدة شهر واحد في سبيل التثبت والتأييد للحصول على حديث واحد، وعندما وصل الصحابي رأى الراوي قد خدع حصانه بحيلة كيس العلف الفارغ ترك أخذ الحديث عنه واعتبره معلولاً.

ونرى أبا العالية وهو من كبار أئمة التابعين الباحثين عن العبادات الإسلامية يقول:



((كنا نأتي الرجل، لنأخذ عنه، فننظر إذا صلى، فإن أحسنها، جلسنا إليه، وقلنا: هو لغيرها أحسن (أي جميع أعماله الدنوية أحسن أيضاً). وإن أساءها، قمنا عنه، وقلنا: هو لغيرها أسوأ (أي جميع أعماله الدنوية أسوأ أيضاً)))[٦]

فمقياس الصلاح عند الرجل كان في الصلاة، فإن كانت تامة فكل أعماله كذلك، وإن كانت سيئة فكل أعماله كذلك وبذلك يؤخذ من أو يُرَد.

ماذا تلقى الصحابة الكرام ﵃ من رسول اللّه ﷺ؟

أولاً: الانعكاس: انعكست حال النبي ﷺ عليهم وبشكل مكثف، وجرت الفيوضات النبوية على قلوبهم.

ثانيا: تخصيل القربى: أي معرفة اللّه القلبية، فالعلم والتعليم والتربية كل ذلك للتقرب منه وقد أحدث هذا المفهوم فهماً جديداً عند الصحابة ﵃ عن اللّه ﷻ، وعن الكائنات، وعن النفس، وأضحى هدفهم السامي أن يتمثلوا بحال النبي ﷺ كيفما استطاعوا وذلك كانعكاس الشمس على المرآة.

بهذا الإنعكاس توضحت لديهم معاني الخير والحق بكل جمالياته، والشر والباطل بكل مساوئه،

٦ انظر: الدارمي، المقدمة، ٣٨، ٤٢٩؛ جـ١، ص٣٩٨/ ٤٣٧

وأصبح دستور حياتهم البحث عن رضاء اللّه ﷻ في كل نفس وحركة ومعاملة. كانوا أهل الكرم والرحمة والتضحية والإيثار، وقد تشوقوا في عبادتهم للّه ﷻ.

الصحابة الكرام ﭬ الذين عاصروا العهد المكِّي اجتازوا امتحاناً إيمانياً أزال كل الحواجز والعقبات عن طريق إيمانهم، وضحّوا بمالهم وأنفسهم في سبيل تمثل الشخصية الإسلامية. فالمشاعر والإنفعالات الإيمانية التي هي بمثابة البناء المعنوي، تم التحضير لها في مكة ولامست القلوب المؤمنة ثم في المدينة المنورة أسهمت هذه المشاعر الإيمانية بالفتوحات المدنية بلا نظير.

هكذا بُنِيَ المجتمع الإسلامي الذي مَنَحَ المخلوقات الطمأنينة والهدوء، فالصحراء المحترقة المشتعلة بنار الفتنة هدأت واطمأنت، والأشجار والنباتات شعرت بالطمأنينة وازدادت وحرم قطع الأغصان الخضراء دون الحاجة إليها، لم يكتف الإسلام بتخليص الإنسانية بل خلّص النباتات والحيوانات من الظلم بمفهوم الحق والحقوق التي شرعها وبذلك نالت الأمان والطمأنينة.



انتشر الإسلام بسرعة الفجر عند الصباح

ووصلت حدود دولة الإسلام إلى العراق وفلسطين في عشر سنوات، هذه الدولة التي تأسست في المدينة المنورة من أربع مائة أسرة تقريباً، وفي أثناء انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى كانت جيوش الإسلام تحارب الفرس وبيزنطة، لم تتغير أحوال الصحابة الكرام بعد الرسول ﷺ ولم تتغير حركاتهم ولا معيشتهم ولا مستويات حياتهم ولا هندسة بيوتهم. كانوا وما زالوا يعيشون في الرياضة النفسية والزهد. الإستهلاك والتبذير والرفاهية والرياء لا تعرف إليهم مسلكاً.

وضعوا نصب أعينهم أن القبر مآلهم الأخير، لذلك فرّوا من تمليك نِعَم اللّه ﷻ لأنفسهم واستعمالها فوق العادة، واتجهوا لاستخدام النعم كوسيلة لهداية الإنسانية وسعادتها بعد أن ذاقوا لذة وطعم الإيمان، حيث كانت حياتهم لنيل رضاء اللّه ﷻ.

من الملاحظ أن أحد الأسباب التي كانت وراء الإنتشار البراق والسريع للإسلام بين المجتمعات الإنسانية المظلومة والمطرودة والمنبوذة والمستعمرة هو أن الصحابة الكرام قد تمثلوا الهوية الإسلامية الكاملة



حيثما حلّوا في أرض الإسلام، ولكنهم كانوا الطلبة الخاصيين لرسول اللّه ﷺ وكانوا مؤمنين استثنائيين ينظرون بعين اللّه إلى عباده نظرة الشفقة والرحمة، كانوا صادقين عادلين، أهل إيثار وقناعة، قلوبهم وقد أحست بالمسؤولية نحو الإنسانية في تبليغ هذا الدين.

وقد وضع الصحابة الكرام ﷺ نصب أعينهم ومركز حياتهم الصداقة لِلّه ﷻ ولِرسوله الأكرم، لذلك وصلوا إلى الذروة والقمة في المدنية، بعد أن عاشوا في مجتمع أمي لا يعرف الكتابة والقِراءة، لأن أفئدتهم دائماً في مهمة سامية ومشاعر عالية، ماذا يريد اللّه منا، وكيف يريد النبي ﷺ رؤيتنا؟

التعمق في الأحاسيس والمشاعر:

وصَلَ الصحابة الكرام ﷺ إلى آخر نقطة في المشاعر والأحاسيس الكاملة التي تستطيع الروح والنفس والعقل الوصول إليها.

بعد تخلصهم من شر النفس الأمّارة نالوا النفس الكاملة فهم يُحَاسِبون أنفسهم قبل أن يُحَاسَبوا، يهذبون طلباتهم النفسية، تكاملوا وكمّلوا ورفعوا استعداداتهم



العلوية والفطرية ونهجوا طريقاً موصلاً إلى طريق الحق، بعد أن كانوا جماعة متوحشة تحولوا إلى أناسٍ وصفات لطيفة كالملائكة، وبعد أن كانوا في أعماق البحار من حيث الظلمُ والجهالةُ وصلوا إلى الذروة والقمة في الرحمة والشفقة، ونظرة الخالق إلى المخلوق بنيل حصة أو جزء من شغف فؤاد رسول اللّه ﷺ.

وبعد أن كان إنساناً وحشياً قاسي القلب عديم الرحمة يشد ابنته من فؤاد أمها ويئدها في التراب وهي حية. أصبح بعد الإسلام مَلِك الشفقة الدامع العينين، الأفئدة أصبحت منارة وتكية وجدت فيها القلوب المرهقة والمتعبة الطمأنينة والسلوان، القلوب صارت ملجأ ومأوى للأرامل والأيتام والغرباء.

وكان عمر رضي الله عنه قبل الإسلام ذا قلب قاس وبإسلامه تحول إلى ذي قلب رقيق مرهف، ولقد وصل إلى أعماق التفكير والحس السامي عندما قال:

((لو هلك حمل من ولد الضأن ضياعاً بشاطئ الفرات خشيت أن يسألني الله عنه)) (انظر: ابن أبي شيبة، المصنف، ٨، ١٥٣؛ جـ٧، ص٩٩/ ٣٤٤٨٦)



وكان عمر ﵁ يتجول ليلاً حول أطراف المدينة المنورة وفي الأحياء الفقيرة وبشعور المسؤولية حاملاً كيساً من الطحين على ظهره.

وأنَّ سيدنا عبد اللّه بن مسعود ﵁ في معركة بدر عندما وضع رجله على عنق أبي جهل بعد أن وقع على الأرض فقال هذا المشرك المتكبر وهو في الرمق الأخير تحقيراً لعبد اللّه: **لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويعي الغنم.** (انظر: ابن هشام، جـ١، ص ٦٣٥-٦٣٦؛ جـ٢، ص ٢٧٧)

هذا القول يدل على أن ماضي ابن مسعود ﵁ كان بسيطاً فهو راع للغنم مستحقر من الناس في الجاهلية، لكنه بعد الهداية وتربية رسول اللّه ﷺ له تعمق قلبه ورق وأصبح بحراً واسعاً انعكست عليه التجليات الألهية. ظهر أثر هذا الصحابي الجليل بعد ذلك وتجلى في مدرسة الكوفة التي تعتبر من أكبر المدارس التي تهتم بنظام الحقوق[٧]، والإمام الأعظم أبو حنيفة كان طالباً فيها واشتهر بأنه أول واعظٍ في علم الفقه وكذلك معظم المجتهدين والدهاة والعظماء تربوا في هذه المدرسة.

٧ انظر: علي حيدر أفندي، درر الحكمة، مجلة الحكام، إسطنبول١٣٣٠، ص ١١



لا يستطيع أشهر الحقوقيين في العالم من أمثال صولون وحمو رابي أن يجاريا أبا حنيفة. والناظر في أي مجال من مجالات العلوم الإسلامية سيرى في البداية اسم هذا الصحابي المبارك بين مؤسسيها.

الصحابة رضي الله عنهم كانوا تطبيقاً ومثالاً حياً لمعجزة القرآن الكريم ووصلوا إلى قمة الفضيلة والفراسة والدراية والقيم الإنسانية.

الإنسجام و التناسق في مهام العقل و القلب:

تناسقت وانسجمت مهام العقل والقلب معاً حتى أوصلت المؤمن إلى الكمال. ولقد حافظ المؤمن على شعور العشق حياً و تعمق تفكيره حتى وصل إلى فكرة أن الحياة الدنيا هي دار الإمتحان.

أَلِفَ قلب المؤمن التعظيم الإلهي وفيوضات القدرة الإلهية، لذلك ما استكان المؤمنون وما ملوا من رحلاتهم إلى سمرقند والصين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد تمثلوا للآية الكريمة:

﴿...وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...﴾ (البقرة، ١٩٥)



فلم يتركوا هذا المقصد أبداً ولنفس القصد سافر أبو أيوب الأنصاري ﷺ وهو في عمر الثمانين و نيف إلى إسطنبول لفتحها وجثمانه الفاني أصبح تذكاراً عظيماً وبركةً دائمةً لمدينة إسطنبول، وكل من جاء بعدهم وزّعوا وعملوا لنشر الهداية حتى الأندلس.

ومن التابعين عقبة بن نافع الذي أرسل في العهد الأموي إلى أفريقيا وعقبة ﷺ فَتَحَ منطقة القيروان وعيّن زهيرَ بن قيس مديراً لها وقال:

إني قد بعت نفسي من الله ﷻ، فلا أزال أجاهد من كفر بالله. وأوصى زهيراً بما يفعل بعده.

تابع عقبة ﷺ الفتوحات شوقاً للقاء اللّه وتضحية في سبيله وسار حتى بلغ ماليان ورأى البحر المحيط، وقال: (يا رب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهداً في سبيلك).[8] (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، ١٤١٥، جـ٣، ص ٢٠٥-٢٠٦)

---

٨ عقبة ابن نافع كان مستجاب الدعاء، عندما اجتاز بمكان يعرف اليوم بماء الفرس فنزله، ولم يكن به ماء، فلحق الناس عطش كثير أشرفوا منه على الهلاك، فصلى عقبة ركعتين ودعا (فبحث فرس له الأرض بيديه فكشف له عن صفاة) فانفجر الماء، فنادى عقبة في الناس فحفروا أحساء كثيرة وشربوا، فسمي ماء الفرس. (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، ١٤١٥، جـ٣، ص ٢٠٥-٢٠٦)



الدولة العثمانية في عصورها الثلاثة الأولى: كانت نموذجاً لعصر السعادة في إدارة الحياة الإجتماعية، على الرغم أن العثمانيين قد جاؤوا بعد الصحابة بعدة عصور وكان عددهم لا يتجاوز أربعمائة فارس.

اِنتشار التفكُّر

أرشد النبي ﷺ أهل الجاهلية فأصبحوا عارفين واقعيين متّقين، حتى صارت الليالي أياماً، والشتاء ربيعاً، تقدم التفكير حتى وصل إلى بدايات الخلق، كيف خلق الإنسان من نطفة مثل قطرة الماء، والطير من بيضة صغيرة والنباتات والثمار من بذرة تكاد تكون معدومة، تركزت حياتهم على رضاء اللّه تعالى وتعمقت فيهم الرحمة والشفقة وإحقاق الحقوق حتى وصلت إلى ذِروتها.

التبليغ متعة

تذوق الصحابة الكرام رضي الله عنهم متعة التبليغ ومثّلوا الشخصية الإسلامية في كل الأوقات طلباً لرضاء اللّه تعالى، وفي سبيل ذلك قدّموا كل التضحيات وأمروا بالمعروف ووصوا بالبِرّ والإحسان والخير والإستقامة، ونهوا عن المنكر والسوء والفحشاء وكانت أشد أوقاتهم متعة ولذة وقت تبليغ التوحيد.



في العهد المكي صعب على النبي ﷺ الإلتقاء مع النساء بينما سهل ذلك مع الرجال، من هذا المنطلق قامت صحابية كريمة تسمى غُزَيَّةَ بواجب التبليغ بين النساء بأفضل قيام، فدعت نساء قريش إلى الإسلام سرّاً ولما علمت قريش بخبرها وبعد أن لاحظ كفار قريش تغير حال النساء فيها قبضوا على غُزَيَّةَ وطردوها إلى قبيلة دوس مع بعض أهل زوجها، الدَّوسيون أذلوا غُزَيَّةَ وقهروها وأركبوها على جَمَل ثفال (مجرد من الهودج) واستمروا في تعذيبها حتى عميت وصمت ولما شاهد الدَّوسيون صبر غُزَيَّةَ على العذاب وعشقها للإيمان وإخلاصها لدينها تأثروا بها وتشرفوا بالدخول في الإسلام.[٩]

وعندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة هاجرت غُزَيَّةَ أيضاً، وفي بعض الروايات أنها جاءَت سفيرة إلى النبي ﷺ من أبناء عبد قيس.[١٠]

شاهدت امرأة معجزة النبي ﷺ اثناء سفره الى المدينة في حادثة نبع الماء عندما اشتكى إليه الناس من

٩ ابن سعد ٨، ١٥٥–١٥٧؛ ابن المجبر ص ٨١،٨٢، ٩٢؛ أبو نعيم، الحلية ٢، ٦٦–٦٧؛ ابن حجر، الإصابة ٤، ٤٤٧.

١٠ أبو الخطيب، أسماء الصحابة، مكتبة جامعة إسطنبول، (١٤٢–١١٠١)



العطش وإكرامه لها، فلما عادت إلى قومها روت لهم ما حدث، فدخل قومها في الإسلام أرسالاً وجماعات.[11]

النساء الصحابيات الإماء اللواتي دخلن في الإسلام اشتركن في تبليغ هذا الدين بدون تأخير أو تقصير منهن حتى أنهن لحقن النساء الحرائر في ذلك، حتى جارية من أصفهان أسلمت قبل سلمان الفارسي رضي الله عنه هي من أرشدته إلى طريق النبي صلى الله عليه وسلم.[12]

أحد الصحابة الكرام عندما أمسكه بعض المشركين وأرادوا إعدامه أعطوه مهلة ثلاث دقائق، الصحابي شكرهم على ذلك وقال في نفسه إنكم قليلوا الحظّ ثم أجاب: إذاً عندي ثلاث دقائق لتبليغكم الدين.

يقول الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه في أهمية التبليغ: كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول له: ما لك إلي وما بيني وبينك معرفة فيقول كنت تراني على الخطإ وعلى المنكر ولا تنهاني.[13]

---

١١ انظر: البخاري، التيمم، ٦

١٢ انظر: أبو نعيم الأصفهاني، تاريخ أصفهان، جـ١، ص٤٣؛ ابن الأثير، أسد الغابة، جـ ٧، ص ٢٥؛ ابن حجر، الإصابة، جـ ٤، ص٢٣٣

١٣ المنذري، الترغيب والترهيب، بيروت ١٤١٧، ٣، ١٦٤/ ٣٥٠٦؛



الإعتصام بالقرآن

النبي ﷺ علّم الصحابة الكرام القرآنَ الكريم في أصعب الظروف. يروي الصحابي أبو طلحة رضي الله عنه أنه شاهد النبي، سلطانُ الرسل ﷺ قائم يقرئ أصحاب الصفة وعلى بطنه فصيل من حجر يقيم به صلبه من الجوع. (أبو نعيم، الحلية، جـ١، ص٣٤٢)

إن أولى اهتمامات الصحابة رضي الله عنهم هي فهم وتعلّم وإدراك كتاب اللّه تعالى ونيل تجلياته الحكيمة، والعمل بمقتضاه، لقد وجدوا لذة الحياة في تلاوة القرآن والإنصات إليه والعيش بمقتضاه.

الأصحاب الكرام رضي الله عنهم عاشوا مع القرآن ومقتضياته وكرسوا حياتهم للقرآن الكريم، أي عاشوا مع القرآن، وللقرآن، وبالقرآن.

الصحابة الكرام رضي الله عنهم أظهروا خدمة للإسلام وهِمّة له لم يُرَ أمثالها في التاريخ، فقد تعرضوا للتعذيب والظلم والضغط لكنهم حافظوا على دينهم وإيمانهم من التبدل والتحول.

روداني، جمع الفوائد، مترجم نعيم أردوغان، اسطنبول (٥- ٣٨٤)



تركوا أوطانهم وأموالهم وضحّوا بكل ما يملكون وهاجروا من أجل العيش بمقتضى آيات اللّه ﷻ.

لذلك اجتهدوا وحثّوا أنفسهم على العيش حسب كل آية ومقتضياتها ولم يتركوا القرآن حتى في أشد الأوقات خطراً، فبينا رسول الله ﷺ في مسيره عشية ذات ريح، نزل في شعب استقبله فقال ﷺ:

"مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا اللّيْلَةَ؟"

فقام رجلان، عمار بن ياسر وعباد بن بشر،

فقالا: نحن يا رسول الله نكلؤك.

وجعلت الريح لا تسكن، وجلس الرجلان على فم الشعب، فقال أحدهما لصاحبه: أي الليل أحب إليك، أن أكفيك أوله فتكفيني آخره؟ قال: اكفني أوله.

فنام عمار بن ياسر، وقام عباد بن بشر يصلي، وأقبل عدو الله يطلب غرة وقد سكنت الريح، فلما رأى سواده من قريب قال: يعلم الله إن هذا لربيئة القوم! ففوق له سهماً فوضعه فيه فانتزعه فوضعه، ثم رماه بآخر فوضعه فيه فانتزعه فوضعه، ثم رماه الثالث فوضعه فيه، فلما غلب عليه الدم ركع وسجد، ثم قال لصاحبه: اجلس فقد أتيت! فجلس عمار، فلما رأى الأعرابي أن عماراً قد قام



علم أنهم قد نذروا به. فقال عمار: أي أخي، ما منعك أن توقظني به في أول سهم رمى به؟ قال: كنت في سورة أقرأها وهي سورة الكهف، فكرهت أن أقطعها حتى أفرغ منها، ولولا أني خشيت أن أضيع ثغراً أمرني به رسول الله ﷺ ما انصرفت ولو أتي على نفسي. (انظر: الواقدي، مغازي، جـ١، ص٣٩٧؛ أحمد، جـ٣، ص٣٤٤؛ ابن هشام، جـ٣، ص٢١٩).

كان الصحابة الكرام ﷺ وبمقتضى القرآن يعتبرون أنّ أركان الدين بالنسبة إليهم لذة ونَهْمٌ لا يشبع منه، كل الآيات النازلة كانت كأنها ضيافة من السماء وكل محاولاتهم وجهودهم كانت لإدراك القرآن وبشكل تام وكامل للعيش في هذا الكون وفي أحسن النماذج.

إحدى الصحابيات أتت النبي ﷺ، فقالت: إنها قد وهبت نفسها لله ولرسوله ﷺ، فقال ﷺ:

"مَا لِي فِي النِّسَاءِ مِنْ حَاجَةٍ"

فقال رجل: زوجنيها، قال ﷺ: **"مَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ؟"**

قال: كذا وكذا،

قال ﷺ: **"فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ"** (أنظر: البخاري،فضائل القرآن، ٢١/ ٥٠٢٩؛ مسلم، نكاح، ٧٦)

فهذه الصحابية الكريمة اعتبرت حفظ القرآن من



قبل زوجها مهراً كافياً لها، هذه الصورة تعبر لوحة إيمانية مثلت الفضيلة التي تحلّوا بها.

وقد اقتدى الصحابة الكرام ﵃ بالنبي ﷺ في جهودهم لتعليم القرآن وفي شعورهم وأحاسيسهم لذلك وفي النهاية امتلأت المدينة المنورة بالحفّاظ والعلماء.

ما الأسباب التي دعت الصحابة الكرام للإتجاه نحو القرآن الكريم؟

كان الصحابة الكرام ﵃ أمّيّين جاهلين بالثقافات الخارجية ولم يتأثروا بها، لذلك ركزوا في جهودهم وقواهم العقلية والقلبية على القرآن الكريم، هكذا صنعوا الثقافة السامية التي منعت الظلم والجور ومنحت كل المخلوقات حقها في الحياة المطمئنة.

زيادة الإحساس والحياة الروحانية والشعور الإسلامي ضروري للإنسان، لأن الثقافة والأعمال القيمة لا تنتج إلا بالمستوى الروحي العالي، وكذلك لم يترفع التفكير إلى الذروة ولم يُربِّ إنساناً كاملاً ولم يظهر مولانا الرومي ومولانا المِعماري الكبير سنان ومولانا الفضولي وسواهم من الأكابر إلاّ بها.



ب- نزول القرآن منجّماً يَسّرَ حفظه وتطبيقه وهضمه روحياً، مما سهّل على جيل الصحابة ﵃ وأحفادهم التعليم والتدريس التدريجي.

جـ- وجوب قراءة القرآن في الصلاة كان بمثابة استذكار للقرآن بشكل دائم وهكذا زاد أنسهم بالقرآن الكريم، خاصة الفاتحة التي كرّروها في كل ركعة.

د- أخذ العبرة والحكمة من قصص القرآن الكريم تثبيتاً لأحكامهم وقبولاً لأعمالهم وَوُصولاً إلى هدفهم.

إعجاب الإنسانية بهم

هكذا أوجد القرآن الكريم عصر السعادة خلال مدة قصيرة ولقد أعجب العالم كلُه قديماً وحديثاً بهذا المجتمع النادر، ومازال هذا الإعجاب مستمراً حتى الآن وفي عصرنا الحادي والعشرين لو اجتمع كل علماء النفس والإجتماع والأطفال والتربية والفلاسفة في الدنيا كلها لما استطاعوا أن يُكوِّنوا مجتمعاً صغيراً يتصف بهذه الصفات السامية التي اتصف بها مجتمع عصر السعادة.

إن أسباب حيوية عصر السعادة، القرآن والسنة، الكتابان اللذان لا يزالان يتحفظان بنفس التأثير والفعالية، وهما اللذان أوجدا عصر السعادة، فالمجتمعات التي تتمسك



بالإسلام تزدهر أبداً وتتقدم، ومن أهملتْ وتركتْ الإسلام تخلفت وخسرت. يقول الباحث والمراقب في موضوع عدالة الإسلام (لا فاتيا La fayette): قاصداً النبي ﷺ

"يا أيها العربي يا ذا الشأن لا يكفيك أشد التقدير لأنك حققت العدالة نفسها" هكذا أظهر هذا الباحث إعجابه وتقديره العميق لنبينا ﷺ. (كامل ميراث، ترجمة التجريد الصريح ٩، ٢٨)

الأخلاق الإسلامية ليست نظرية بل تطبيقية

فيما يتعلق بمسألة الأخلاق ليس هدف الإسلام إظهار النظريات المعتادة، ولا الدخول في المباحثات الهشة لتطمئن العقول المتلهفة ولا الخوض في الأخلاق الفلسفية المنعزلة عن الحياة الواقعية فقط بل هدف الإسلام إيجاد الأجوبة على احتياجات الناس الأخلاقية بحلول تطبيقية وتزويدهم بشعور لعيوبهم الذاتية وإمكانية إزالة هذه العيوب في هذا المجال وبمرور الأيام، إذ الإسلام يسعى إلى إقامة هذا الدستور الأخلاقي في الحياة بطريق أحسن وأضمن وبهدف تكوين أخلاق سلوكي لا أخلاقٍ معرفي.

هناك أمر معبر وذو مغزى في القرآن الكريم وهو إنزال الآيات التي أمرت النبي ﷺ بالعلم سورة العلق



أولاً، ثم إنزال الآيات التي أمرت بالنهي عن المنكر والعبرة من ذلك تحصيل مسألة الأخلاق.[١٤]

وفي مقابل هذه الأفكار نجد أن أفكار الفلاسفة الذين لم تُربَّ عقولهم على الوحي جاؤوا بأفكار اجتماعية تحت مسمى الأخلاق، ولكن اللافت للنظر أن هذه الأفكار بقيت طي النسيان في الكتب وعلى الرفوف المغبرة وفي المكتبات غالباً، والتي ظهرت وانتشرت في الحياة لم تعمر، وبالحقيقة فإن السبب في ذلك هو أن هؤلاء الفلاسفة لم يتمثلوا ما قالوه في حياتهم بأنفسهم ولا في حياة مريديهم، وبقيت أفكارهم نظرية فقط، فأرسطو مثلاً وبسبب بعده عن الوحي الإلهي فإننا لا نرى شخصاً واحداً وصل إلى السعادة في حياته بتطبيق نظريته.

بالرغم من أن أرسطو مؤسس قواعد وقوانين الفلاسفة الأخلاقية، والفارابي وفي أهم أثر له ألا هو كتاب "المدينة الفاضلة" والذي احتوى على قواعد تأسيس المجتمع المثالي ومدنية الجمال، فقد جاء

١٤ انظر: سورة العلق،١-٥؛ سورة المدثر، ١-٧



خيالياً غير قابل للتطبيق، ولا يمكن إخراج محتواه إلى الحياة من بين السطور، ولكنه أصبح طعاماً في معدة الأرضة آكلة الأوراق، والسبب في ذلك أن أفكاره ليست إلهيّة المصدر وليست صالحة للحياة، الفلاسفة دائماً يقولون بالنسبة ما يعيشونها، أما الأنبياء فهم يقولون بانّ أمر اللّه ﷻ هكذا.

النتيجة: قدرة اللّه تعالى تجلت في:

١- أن اللّه تعالى أظهر للبشرية الأخلاق السامية في شخصية النبي ﷺ بلا نظير وتحققت الغاية من إظهار الإنسان الكامل الذي أراده اللّه ﷻ بشكل تطبيقي وواقعي.

٢- النبي الأمي ﷺ الذي لا يعرف القراءة والكتابة، لُطف وفضل بهذه البشرية، وعلّمها الحق والخير وهذا من فضل اللّه ﷻ.





بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

(البقرة، ٢٠٧)



مشاعر الإيمان

في مجتمع عصر السعادة

مشاعر الإيمان

في مجتمع عصر السعادة

الصحابة الكرام ﵃ عزموا وهمّوا على تشكيل حياتهم وفقاً للعشق وشعور الإيمان، لقد تلقى الصحابة الكرام من النبي ﷺ الإنعكاس الروحاني المكثف الذي كان أُسس ومصدر وبناء هذا الشعور الإيماني.

الصحابة الكرام في الحقيقة هم عَالَمُ القلوب: جيل الصحابة الكرام في ماضيهم كانوا مجتمعاً جاهلياً وكان عالم قلوبهم محروماً من الإيمان والقيم الأخلاقية، ثم وفي مناخ معنوي وفي مجالس صحبة رسول اللّه ﷺ عجنت هذه القلوب بوابل من مطر الرحمة والبركة والفيوضات والمحبة والروحانيات التي انعكست من قلب النبي إلى قلوب أمته وأوجدت شخصيات كالنجوم هداة البشرية ومرشدوها حتى القيامة، الإنسان العادي ربيب الجاهلية ذو قلب قاس عديم الرحمة والضمير



والوجدان والشعور حتى أنه وأد البنت وهي حية، والذي لا يقبل حقوق الغير، انقلب مؤمناً دامع العينين ذا حس ورقة وشعور وإيثار وحكمة وتضحية وصبر على البلاء.

المبادرة للدخول في الإسلام

أهل مجتمع عصر السعادة هرولوا إلى الإيمان مسرعين كباراً وصغاراً، فمثلاً كان عبد اللّه بن الزبير ﵁ أول مولود بعد الهجرة في الإسلام، جاءت به أمه أسماء بنت أبي بكر ﵂ إلى النبي ﷺ لِيُحَنِّكَه،

فأخذه رسول الله ﷺ منها، فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة.

قالت عائشة ﵂: فمكثنا ساعة نلتمسها قبل أن نجدها، فمضغها ثم بصقها في فيه، فإن أول شيء دخل بطنه لريق رسول اللهﷺ.

ثم قالت أسماء ﵂:

«ثم مسحه وصلى عليه وسماه عبد الله، ثم جاء، وهو ابن سبع سنين أو ثمان، ليبايع رسول الله ﷺ، وأمره بذلك والده الزبير، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآه مقبلاً إليه، ثم بايعه» (مسلم، آداب، ٢٥/ ٢١٤٦)



وفي أثناء فتح مكة أحضرت السيدة زينب بنت حميد ابنها عبد الله بن هشام وهو في السادسة من عمره، إلى رسول الله ﷺ،

فقالت: يا رسول الله بايعه،

فَقَالَ:

"هُوَ صَغِيرٌ فَمَسَحَ رَأْسَهُ وَدَعَا لَهُ"

وعن زهرة بن معبد، أنه كان يخرج به جده عبد الله بن هشام إلى السوق، فيشتري الطعام، فيلقاه ابن عمر، وابن الزبير رضي الله عنهما، فيقولان له:

«أشركنا فإن النبي ﷺ قد دعا لك بالبركة» ، فيشركهم، فربما أصاب الراحلة كما هي، فيبعث بها إلى المنزل. (البخاري، الشركة، ١٣/ ٢٥٠١)

أبو قراضعة رضي الله عنه: بادَرَ إلى الإيمان مبكراً، يروي لنا قائلاً:

«لما بايعنا رسول الله ﷺ أنا وأمي وخالتي ورجعنا من عنده منصرفين قالت لي أمي وخالتي: يا بني ما رأينا مثل هذا الرجل أحسن منه وجهاً، ولا أنقى ثوباً، ولا ألين كلاما، ورأينا كأن النور يخرج من فيه» (الهيثمي، ٨، ص ٢٧٩-٢٨٠، رقم ١٤٠٣٢)



التضحية في سبيل الإيمان

الصحابة الكرام ﭬ لم يمتنعوا عن التضحية بحياتهم لأجل الإيمان، ففي هذا السياق اشتهرت بطولة حضرة سمية وحضرة ياسر اللذين ضحيا بأنفسهما من أجل المحافظة على الإيمان وأصبحا ملحمة يضرب بها المثل بطولة وفداء.

وكذلك أفاضل الأصحاب كعمار بن ياسر وبلال الحبشي وخباب بن الأرت وصهيب بن سنان والسيدة ذي النيرة وعامر بن فهيرة وأبو فكيهة والمقداد بن عمرو والسيدة أم عبيس والسيدة لبينة والسيدة نهدية وابنتها، أولئك الكرام حافظوا على إيمانهم رغم الظلم وتحت المعاناة غير المحتملة، واجتهدوا لإيصال هذه النعمة الإلهية إلينا ودفعوا الثمن الغالي، وذلك بالتضحية بأنفسهم وأموالهم في سبيل اللّٰه.

في خلافة عمر ﭬ قابل خباب بن الأرت ﭬ، وسأله عما لقي من المشركين.

فقال: يا أمير المؤمنين، انظر إِلَى ظهري.

فنظر، فقال: ما رأيت كاليوم ظهر رجل.



تابع خباب فقال: كان الكافرون يحمون النار ثم يأمرونني بالإستلقاء فوقها وأنا عاري الظهر، وكانت النار تنطفئ بذوبان الدهون من ظهري، ثم كانوا يلصقون الحجارة التي أوقدت في النار على ظهري وكان لحمي يسقط من شدة التعذيب.

رغم ذلك كله خباب ﷛ رفض أن يقول ماذا أراد منه الكافرون قوله. (ابن الأثير، أسد الغابة، جـ٢،ص ١٤٧-١٥٠/ ١٤٠٧)

كان زيد بن الدثنة وخُبَيْبٍ بن عدي ﷠ محبوسان عند آل صفوان بن أمية وقبل الإستشهاد قال كفار قريش: أيسرك أن محمداً في أيدينا مكانك وأنت في بيتك؟

قال: ما يسرني أن محمداً أشيك بشوكة وأني في بيتي! يقول أبو سفيان بن حرب: لا، ما رأينا أصحاب رجل قط أشد له حباً من أصحاب مُحَمّدٍ بِمُحَمّدٍ. (انظر: الواقدي، جـ١، ص ٣٦٠-٣٦٢؛ ابن سعد، جـ ٢-٥٦)

السيدة صفية عمة النبي ﷺ ضربت مثلاً في الصبر والشجاعة بعد أن استشهد أخوها حمزة ومثل به وقطعت أوصاله وكان المشهد بشعاً جداً ولا يمكن لها أن تتحمله.



فقال رسول الله ﷺ لإبنها الزبير بن العوام:

"الْقَهَا فَأَرْجِعْهَا، لَا تَرَى مَا بِأَخِيهَا"

فقال لها: يا أمّاه، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي،

قالت: ولم؟ وقد بلغني أن قد مثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك! لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله. فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، قَالَ ﷺ:

"خَلِّ سَبِيلَهَا"

فأتته، فنظرت إليه، فصلت عليه، واسترجعت [يعني قَالَت: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ]، واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن. (انظر: سيرة ابن هشام ١٣٧٥، رقم جـ٢، ص ٧٩)

اشتهرت النساء في الجاهلية عند المصائب بالنياحة وشق الجيب وشد الشعر أياماً طويلة، لكن حالهن قد تحوّل بعد الإسلام إلى شخصيات نموذجية تميزت بالوقار والإحتشام وهذا ناتج عن قوة إيمانهن باللّه تعالى.

ومثال آخر أجمل من ذلك السيدة كبشة بنت عبيد أم حضرة سعد بن معاذ ﷺ في معركة أحد وبعد إصابة النبي ﷺ، جاءت تعدو نحو رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ

واقف على فرسه، وسعد بن معاذ آخذ بعنان فرسه، فقال سعد: يا رسول الله، أمي!

فقال رسول الله ﷺ:

"مَرْحَبًا بِهَا"

فدنت حتى تأملت رسول الله ﷺ

فقالت: أمّا إذ رأيتك سالماً، فقد أشوت المصيبة.

فَعَزّاهَا رسول الله ﷺ بعمرو بن معاذ ابنها،

ثم قال رسول الله ﷺ:

"يَا أُمّ سَعْدٍ، أَبْشِرِي وَبَشّرِي أَهْلِيهِمْ أَنّ قَتَلَاهُمْ قَدْ تَرَافَقُوا فِي الْجَنّةِ جَمِيعًا -وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا- وَقَدْ شَفَعُوا فِي أَهْلِيهِمْ".

قالت: رضينا يا رسول الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا؟ ثم قالت: ادع يا رسول الله لِمَنْ خُلّفُوا.

فقال رسول الله ﷺ:

"اللّهُمّ أَذْهِبْ حُزْنَ قُلُوبِهِمْ وَاجْبُرْ مُصِيبَتَهُمْ، وَأَحْسِنْ الْخَلَفَ عَلَى مَنْ خُلّفُوا"

ثُمّ قال رسول اللّه ﷺ: **"خَلّ أَبَا عَمْرٍو الدّابّةَ"**



فَخَلّى الْفَرَسَ وَتَبِعَهُ الناس، فقال رسول اللّه ﷺ:

"يا أَبَا عَمْرٍو، إنّ الْجِرَاحَ فِي أَهْلِ دَارِك فَاشِيَةٌ، وَلَيْسَ فِيهِمْ مَجْرُوحٌ إلّا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُرْحُهُ كَأَغْزَرِ مَا كَانَ، اللّوْنُ لَوْنُ دَمٍ وَالرّيحُ رِيحُ مِسْكٍ، فَمَنْ كَانَ مَجْرُوحًا فَلْيَقِرّ فِي دَارِهِ وَلْيُدَاوِ جُرْحَهُ، وَلَا يَبْلُغُ مَعِي بَيْتِي عَزْمَةً مِنّي"

فنادى فيهم سعد: عزمة رسول الله ﷺ ألا يتبع رسول الله ﷺ جريح من بني عبد الأشهل، فتخلف كل مجروح، فباتوا يوقدون النيران ويداوون الجراح، وإن فيهم لثلاثين جريحاً.[1]

إحدى الصحابيات الجليلات السيدة السميراء بِنْتُ قَيْسٍ رضي الله عنها ونتيجة لإيمانها القوي باللّه عز وجل ظهر منها صبر وقوة احتمال عند المصائب.

ففي معركة أحد انتشر خبر مقتل النبي ﷺ ووصل صراخ وصياح أهل المدينة حتى العرش، جميعهم خرجوا ليسمعوا الأخبار من القادمين، فخَرَجَتْ

١ انظر: الواقدي، جـ١، ص٣١٥-٣١٦؛ دياربكري، جـ١، ص ٤٤٤)



السَّمَيْرَاءُ بِنْتُ قَيْسٍ ﵂ إحدى نساء بني دينار، وقد أصيب ابناها مع النبي ﷺ بأُحُد، النعمان بن عبد عمرو، وسليم بن الحارث، فلما نعيا لها

قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟

قالوا: خيراً، هو بحمد الله صالح على ما تحبين.

قالت: أرونيه أنظر إليه! فأشاروا لها إليه

فقالت: كل مصيبة بعدك يا رسول الله جَلَلٌ. (انظر: ابن هشام، جـ٣، ص٥١؛ الواقدي، جـ١، ص٢٩٢؛ الهيثمي، جـ، ٤، ص١١٠)

الهجرة والجهاد من أجل الإيمان

هاجرالصحابة الكرام ﵃ إلى البلدان البعيدة طلباً للحفاظ على دينهم وتخلصاً من ظلم وتعذيب مشركي قريش، تركوا وطنهم وأموالهم وأولادهم.

من أجل ذلك قال اللّه تعالى واصفا إياهم بالصدق وقوة الإيمان في كتابه العزيز:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم

﴿مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال، ٧٤)

ولنر هذه الحادثة التي تعتبر أكبر دليل على ذلك فسيدنا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ الذي عيّنه الرسول ﷺ قائداً للقافلة الأولى المهاجرة إلى الحبشة فقد قدّم أفضل مثال لحال الإنسان الجاهلي وكيف تحول وأصبح إنسان عصرالسعادة، وكيف تغيرحال شعورهم بالإيمان.

سَأَلَهُم النَّجَاشِيُّ فقال:

ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم؟

فيجيب جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قائلاً:

أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه،

فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه، من الحجارة والأوثان،

وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام ،-فعدد عليه أمور الإسلام-، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا، وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك. (انظر: أحمد، جـ ١، ص ٢٠٢-٢٠٣، جـ٥، ص٢٩٠-٢٩١؛ الهيثمي، جـ ٦، ص ٢٥-٢٧؛ ابن هشام، جـ ١، ص٣٨٥-٣٩٥)

القافلة الأخيرة من هؤلاء المهاجرين عادت عن طريق البحر إلى المدينة المنورة وقوفاً إلى جانب النبي ﷺ أثناء فتح خيبر، وكان من بينهم أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ رضي الله عنها، ودخلت على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة، وقد كانت

هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر، فدخل عمر على حفصة، وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟

قالت: أسماء بنت عميس.

قال عمر: الحَبَشِيَّةُ هَذِهِ البَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟

قالت أسماء: نعم

قال: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله منكم، فغضبت وقالت:

كلا والله، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار -أو في أرض- البعداء البغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله ﷺ، وأيم اللّهً لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً، حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ، ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك للنبي ﷺ وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ، ولا أزيد عليه، فلما جاء النبي ﷺ قالت:

يا نبي الله إن عمر قال: كذا وكذا؟



قَالَ: "**فَمَا قُلْتِ لَهُ؟**"

قالت: قلت له: كذا وكذا

قَالَ: "**لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ - أَهْلَ السَّفِينَةِ - هِجْرَتَانِ**"

قالت: فلقد رأيت أبا موسى الأشعري وأصحاب السفينة يأتوني أرسالاً، يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ، قال أبو بُرْدَةَ: قالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني. (انظر:البخاري، المغازي، ٣٦٠/ ٤٢٣٠/ ٤٢٣١؛ مسلم، فضائل الصحابة ١٦٩)







وَجْدُ العبادة

في مجتمع عصر السعادة

وَجْدُ العبادة

في مجتمع عصر السعادة

وَجْدُ[1] العبادة في مجتمع عصر السعادة. يعتبر أصحاب الرسول ﷺ العبادة زمن التقرب ولقاء اللّه ﷻ، لذلك كانت العبادة بالنسبة لهم فرصة لا تفوّض ولا تعاد، وكانوا يعتبرون إقامة أية عبادة شرفاً ونعمة لهم، وكانوا يقيمونها بكل مشاعر الإمتنان والوجد والحظ لأن اللّه تعالى قد خاطبهم وأمرهم بها.

التدقيق على الوضوء

كان الصحابة الكرام على يقظة وانتباه في المحافظة على وضوئهم وتجديده لكل صلاة.

قال أبو بريدة:

أصبح رسول اللّه ﷺ فدعا بلالاً فقال:

"يا بلال بم سبقتني إلى الجنة؟ ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي..."

١ الوجد: أعلى درجات التقرُّب إلى الله



فقال بلال: يا رسول اللّه ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن للّه علي ركعتين.

فقال رسول اللّه ﷺ: "**بهما**" (انظر: الترمذي، المناقب، ١٨، جـ٥، ص ٦٢٠/ ٣٦٨٩)

قَالَ أَبِي غُطَيْفٍ الْهُذَلِيِّ:

سمعت عبد اللّه بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في مجلسه في المسجد، فلما حضرت الصلاة قام فتوضأ وصلى، ثم عاد إلى مجلسه، فلما حضرت العصر قام فتوضأ وصلى، ثم عاد إلى مجلسه، فلما حضرت المغرب قام فتوضأ وصلى، ثم عاد إلى مجلسه،

فقلت: أصلحك اللّه، أفريضة، أم سنة الوضوء عند كل صلاة، قال: أَوَفَطِنْتَ إِلَيّ، وإلى هذا مني؟

فقلت: نعم،

فقال:، لا لو توضأت لصلاة الصبح، لصليت به الصلوات كلها، ما لم أحدث، ولكني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:



"مَنْ تَوَضَّأَ عَلَى كُلِّ طُهْرٍ، فَلَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَإِنَّمَا رَغِبْتُ فِي الْحَسَنَاتِ" (انظر: ابن ماجه، باب الطهارة، ٧٣)

كان الصحابة الكرام يسبغون وضوءهم، فعَنْ أَبِي حَازِمٍ ﵁، قَالَ:

كنت خلف أبي هريرة ﵁، وهو يتوضأ للصلاة فكان يمد يده حتى تبلغ إبطه فقلت له:

يا أبا هريرة ما هذا الوضوء؟

فقال: يا بني فروخ أنتم هاهنا؟

لو علمت أنكم هاهنا ما توضأت هذا الوضوء، سمعت خليلي ﷺ يقول:

"تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ، حَيْثُ يَبْلُغُ الْوَضُوءُ" (انظر: مسلم، الطهارة، ٤٠)

عن أبي هريرة، أن رسول اللّه ﷺأتى المقبرة، فقال:

"السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا"

قالوا: أَوَلَسْنَا إخوانك؟ يا رسول اللّه



قال رسول الله ﷺ:

"أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ..." (انظر: مسلم، الطهارة، ٣٩؛ ابن ماجه، الزهد ٣٦)

بعدها سأل الصحابة الكرام: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ يا رسول اللّه

فقال عليه الصلاة والسلام:

"أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟"

قالوا: بلى يا رسول اللّه قال:

"فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا"

(انظر: مسلم، طهارة، ٣٩، فضائل، ٢٦؛ النسائي، الطهارة، ١١٠/ ١١٥؛ ابن ماجه، الزهد، ٣٦، الموطأ، الطهارة، ٢٦؛ أحمد، جـ ٢، ص ٣٠٠، ٤٠٨)



الصلاة نور أعينهم

مؤمنو عصر السعادة أقاموا الصلاة بخشوع لأنهم شعروا بلقاء اللّه ﷻ حين تأديتها وكانوا يصلّون كل صلاة كآخر صلاة لمودع الدنيا[2].

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه؛ أنه قال: كان رجلان أخَوَان. فهلك أحدهما قبل صاحبه بأربعين ليلة. فذكرت فضيلة الأول عند رسول اللّه

فَقَالَ رسول اللّه ﷺ:

"أَلَمْ يَكُنِ الآخَرُ مُسْلِماً؟"

قالوا: بلى. يا رسول اللّه، وكان لا بأس به.

فقال رسول اللّه ﷺ:

"وَمَا يُدْرِيكُمْ مَا بَلَغَتْ بِهِ صَلاَتُهُ؟ إِنَّمَا مَثَلُ الصَّلاَةِ كَمَثَلِ نَهْرٍ غَمْرٍ بِبَابِ أَحَدِكُمْ. يَقْتَحِمُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ. فَمَا تَرَوْنَ ذلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ مَا بَلَغَتْ بِهِ صَلاَتُهُ" (انظر: الموطأ، جامع الصلاة، جـ ٢، ص ٢٤٢/ ٦٠٠)

٢ انظر: بن ماجه، الزهد، ١٥؛ أحمد، جـ ٥، ٤١٢



كان **أبو طلحة الأنصاري** ﵁ يصلي في حائطه. فطار **دبسي** (طائر يشبه اليمامة)، **فطفق** (أي: يطلب المخرج من بين جرائد النخل) يتردد، يلتمس مخرجاً. فأعجبه ذلك. فجعل يتبعه بصره ساعة. ثم رجع إلى صلاته فإذا هو لا يدري كم صلى؟ فقال: لقد أصابتني في مالي هذا فتنة. فجاء إلى رسول اللّه ﷺ، فذكر له الذي أصابه في حائطه من الفتنة. وقال: يا رسول اللّه! هو صدقة للّه. فضعه حيث شئت. (انظر: الموطأ، الصلاة، جـ ٢، ص١٣٥/ ٣٢٦)

حضرة عمر بن الخَطّاب ﵁ كتب إلى عُمَّالِهِ:

((إن أهم أمركم عندي الصلاة، من حفظها وحافظ عليها، حفظ دينه، ومن ضيعها، فهو لما سواها أضيع...))

(انظر: الموطأ، وقوت الصلاة، جـ ٢، ص ٩/ ٩)

عَنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ﵁ قَالَ:

دخلت على عمر بن الخطاب ﵁ وهو مسجى فقلت: كيف ترونه؟ قالوا: كما ترى. قلت: أيقظوه بالصلاة ; فإنكم لن توقظوه لشيء أفزع له من الصلاة. فقالوا: الصلاة يا أمير المؤمنين؟ فقال: ها اللّه إذاً! ولا حق في الإسلام لمن ترك الصلاة، فصلى وإن جرحه لِيَثْعَبُ دَمًا. (انظر: الهيثمي، جـ١، ص٢٩٥؛ الموطأ، الطهارة، ٥١)

قال حضرة علي بن أبي طالب ﵁ لأحد موظفيه: كل شيء مرتبط بصلاتك.[3]

نُقِلَ عَنِ الْعَلَاءِ بن عبدِ الرحْمَنِ، أنه دخل على أنس بن مالك في داره بالبصرة، حين انصرف من الظهر، وداره بجنب المسجد، فلما دخلنا عليه،

قال: أصليتم العصر؟

فقلنا له: إنما انصرفنا الساعة من الظهر،

قال: فصلوا العصر، فقمنا، فصلينا، فلما انصرفنا، قال: سَمِعْتُ رسول اللّهﷺ، يقول:

"تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَي الشَّيْطَانِ، قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا". (انظر: مسلم، المساجد، ١٩٥، جـ١، ص٤٣٤/ ٦٢٢)

الصحابة الكرام ﵃ اهتمّوا بأداء الصلاة وفي إكمال ركوعها وسجودها، دخل حذيفة المسجد فإذا رجل يصلي مما يلي أبواب كندة فجعل لا يتم الركوع ولا السجود، فلما انصرف

٣ انظر: عبد العزيز شاويش، جوابا للكنيسة الأنجيلية، ص ٩٦



قال له حذيفة رضي الله عنه:

(منذ كم هذه صلاتك؟)،

قال: منذ أربعين سنة، قال: فقال له حذيفة رضي الله عنه:

(ما صليت منذ أربعين سنة ولو مُتَّ وهذه صلاتك لمت على غير الفطرة التي فطر عليها محمد ﷺ)،

قال: ثم أقبل عليه يعلمه، فقال:

(إن الرجل ليخف في صلاته، وإنه ليتم الركوع والسجود) (انظر: أحمد، مسند، الأنصار، ٣٨، ص٢٩٤/ ٢٣٢٥٨؛ البخاري، جـ١، ص ١٥٨/ ٧٩١)

المثابرة على الجماعة

إن أكثر الخصوصيات أهمية في مجتمع عصر السعادة كانت في إنشاء رابطة الإخاء في الدين وإحلالها محل العصبية القبلية، مفهوم الوحدة الأخوية كان أساس العيش في مجتمع عصر السعادة، لهذا فأوضح مظهر من مظاهر هذا الإخاء التجلّى في المحافظة على تأدية صلاة الجماعة كان رسول اللّه ﷺ يعرف جماعته كالإمام ويلاحظ الغائبين منهم عن تأدية صلاة الجماعة ويسأل

الحاضرين أين صديقكم فلان؟ هل حضر فلان؟ ويا سيد أين خادمك؟ المريض منهم يَعُودُهُ، وكان رسول اللّه ﷺ ينادي على أصحاب الحاجات والمصائب ويحل مشكلاتهم ويقضي لهم حاجاتهم.

كان سيدنا رسول اللّه ﷺ دائماً يحض أمته على ملازمة الجماعة فيقول:

"إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسَاجِدَ، فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ"

لأن اللّه تعالى قال في كتابه العزيز:

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (التوبة، ٨١) (ابن ماجه، المساجد، ١٩)

عن أبي الْأَحْوَصِ، قال: قال عبد اللّه:

«لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق قد علم نفاقه، أو مريض، إن كان المريض ليمشي بين رجلين حتى يأتي الصلاة» (مسلم، صلاة الجماعة، جـ١، ص ٤٥٣/ ٦٥٤)



وفي عهد النبي ﷺ كان هناك رجلان، أحدهما بياعاً فإذا سمع النداء بالصلاة فإن كان الميزان بيده طرحه ولا يضعه وضعاً، وإن كان بالأرض لم يرفعه.

وكان الآخر قيناً يعمل السيوف للتجارة، فكان إذا كانت مطرقته على السندان أبقاها موضوعة، وإن كان قد رفعها ألقاها من وراء ظهره إذا سمع الأذان، فأنزل اللّه تعالى ثناء عليهما وعلى كل من اقتدى بهما.

فقال اللّه تعالى:

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (النور، ٣٧)

وبذلك نالوا مدح اللّه ﷻ.(انظر: القرطبي، جـ ١٢، ص ٢٧٩)

عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه رأى ناساً من أهل السوق سمعوا الأذان فتركوا أمتعتهم وقاموا إلى الصلاة، فقال: هؤلاء الذين قال اللّه ﷻ فيهم:

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ...﴾

(النور، ٣٧) (انظر: الهيثمي، جـ٧، ص٨٣/ ١١٢٣٤)



المتعة في تأدية الزكاة

مجتمع عصر السعادة كان مهتماً بأداء الزكاة كثيراً لأن اللّه تعالى ربط وقرن بين أداء الصلاة وأداء الزكاة في معظم آيات القرآن الكريم.

وقد وصل الصحابة الكرام إلى أقصى درجات الشعور الإيماني بتأدية الزكاة لأنهم عرفوا أن الزكاة والصدقة ستصل أولاً إلى يد اللّه تعالى.

ولقد سأل حضرة العباس ﵁ النبي ﷺ في تعجيل صدقته قبل أن تحل (أي قبل وقتها)، فرخص له في ذلك،

(أبو داود، الزكاة، جـ٢، ص١١٥/ ١٦٢٤؛ الترمذي، الزكاة، ٣٧؛ ابن ماجه، الزكاة، ٧)

روى أبو داود في باب الزكاة أن امرأة أتت رسول اللّه ﷺ ومعها ابنة لها، وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب،

فقال لها رسول الله ﷺ:

"أَتُعْطِينَ زَكَاةَ هَذَا؟"

قالت: لا، قال:

"أَيَسُرُّكِ أَنْ يُسَوِّرَكِ اللَّهُ بِهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سِوَارَيْنِ مِنْ نَارٍ؟"



قال: فخلَعتْهما، فألَقَتْهما إلى النبي ﷺ، وقالت: هما للّه ﷻ ولرسوله.[٤] (أبو داود، الزكاة،٤، ١٥٦٣)

وفد بني تجيب: قدم عليه ﷺ وفد تجيب وهم من السكون ثلاثة عشر رجلاً قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض اللّه عليهم، فسر رسول اللّه ﷺ بهم وأكرم منزلهم، وقالوا:

«يا رسول اللّه: سقنا إليك حق اللّه في أموالنا»، فقال رسول اللّه ﷺ:

"رُدُّوهَا فَاقْسِمُوهَا عَلَى فُقَرَائِكُمْ"

قالوا: يا رسول اللّه ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا، فقال أبو بكر:

يا رسول اللّه ما وفد من العرب بمثل ما وفد به هذا الحي من تجيب.

فقال رسول اللّه ﷺ: **"إنَّ الْهُدَى بِيَدِ اللَّهِ ﷻ، فَمَنْ أَرَادَ بِهِ خَيْرًا شَرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِيمَانِ"**

وسألوا رسول اللّه ﷺ أشياء، فكتب لهم بها، وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن، فازداد رسول اللّه ﷺ بهم

٤ العلماء اختلفوا في زكاة متاع الزينة والمناسب أداء زكاتها.



رغبة، وأمر بلالاً أن يحسن ضيافتهم، فأقاموا أياماً ولم يطيلوا اللبث، فقيل لهم: ما يعجبكم؟

فقالوا: نرجع إلى من وراءنا فنخبرهم برؤيتنا رسول اللّه ﷺ وكلامنا إياه، وما رد علينا، ثم جاؤا إلى رسول اللّه ﷺ يودعونه، فأرسل إليهم بلالاً فأجازهم بأرفع ما كان يجيز به الوفود.(ابن القيم جـ٣، ص ٥٦٨، ابن سعد، جـ١، ص٣٢٣)

روى ابن عباس ﵄، أن النبي ﷺ صلى يوم العيد ركعتين، لم يصل قبلها ولا بعدها، ثم أتى النساء ومعه بلال، فأمرهن بالصدقة، فجعلت المرأة تلقي قرطها.

(انظر: البخاري، جـ٧، ص١٥٨/ ٥٨٨٣)

يحذر ابن عباس ﵄ من ترك وإهمال العبادة المالية في الإسلام ألا وهي الزكاة ويقول:

«من كان له مال يبلغه حج بيت ربه، أو يجب عليه فيه زكاة، فلم يفعل، يسأل الرجعة عند الموت»،

فقال رجل: يا ابن عباس، اتق اللّه، فإنما يسأل الرجعة الكفار؟ فقال: سأتلو عليك بذلك قرآنا:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ



عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ. وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِين. وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المنافقون، ٩-١١) (انظر: الترمذي، تفسير، ٦٣-٣٣١٦)

أهل مجتمع عصر السعادة ارتفع عندهم حس المسؤولية تجاه شعيرة الزكاة حتى إيصالها إلى مستحقيها إلى أعلى درجاته.

عن الفضل بن عميرة أن الأحنف بن قيس قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وفد من العراق قدموا عليه في يوم صائف شديد الحر وهو متحجز بعباءة يهنأ[٥] بعيراً من إبل الصدقة فقال: يا أحنف ضع ثيابك وهلم وأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فإنه من إبل الصدقة، فيه حق اليتيم والأرملة والمسكين، فقال الرجل يغفر اللّه لك يا أمير المؤمنين فهلا تأمر عبدا من عبيد الصدقة فيكفيك هذا؟ فقال عمر رضي الله عنه:

٥ يهنأ: يقال هنأت البعير أهنؤه: إذا طليته بالهناء، وهو القطران



(يا ابن فلانة وأي عبد هو أعبد مني ومن الأحنف بن قيس هذا، إنه من ولي أمر المسلمين فهو عبد للمسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيده من النصيحة وأداء الأمانة.) (علي المتقي، جـ٥، ص ٧٦١/ ١٤٣٠٧)

حول هذه القصة توجد روايات عدة منها قصة هروب جمل الصدقة وخروج الخليفة عمر ﵁ في طلبه، فقال أحد الحاضرين: لو يرسل الخادم في طلبه فكانت تلك إجابة حضرة عمر ﵁ "وأي عبدين أفضل من عمر والأحنف".

أهل مجتمع عصر السعادة اهتموا بأداء الزكاة حتى بلغ بهم الحال أن الخليفة عمر بن عبد العزيز أرسل موظفاً لتوزيع الزكاة في بلاد إفريقيا وعاد بها كاملة لأنه لم يجد مستحقاً لها ولذلك شرع في شراء العبيد وتحريره بِنقود الزكاة.[٦]

الإنفاق والصدقة في محور حياتهم

أدرك مجتمع عصر السعادة أن الطريق المؤدي إلى حب اللّه هو طريق الإنفاق والصدقة، وأنها تحفظ

٦ سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، بيروت ١٩٨٠، ص ٤٣٤

الإنسان من البلاء والخطر والمصائب حيث قال اللّه تعالى في كتابه العزيز:

﴿وَأَنفِقُواْ[7] فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة، ١٩٥)

عن عبد الرحمن بن بجيد، عن جدته الصحابية أم بجيد، وكانت ممن بايع رسول اللّه ﷺ، أنها قالت له: يا رسول اللّه، المسكين ليقوم على بابي، فما أجد له شيئا أعطيه إياه، فقال لها رسول اللّه ﷺ:

"إِنْ لَمْ تَجِدِي لَهُ شَيْئًا تُعْطِينَهُ إِيَّاهُ إِلَّا ظِلْفًا مُحْرَقًا، فَادْفَعِيهِ إِلَيْهِ فِي يَدِهِ" (انظر: أبو داود، الزكاة، ٣٣/ ١٦٦٧؛ الترمذي، الزكاة، ٢٩/ ٦٦٥٦؛ النسائي، الزكاة، ٧٠/ ٢٥٦٦)

وإذا كان المؤمن لا يملك شيئاً فوجب عليه القول الميسور، لأن اللّه تعالى أمر في مثل هذه الحال بالقول الميسور لأنه يمنح القلب السرور والسكينة والحلاوة والرقة. وهناك مثال آخر:

---

٧ انظر: الإنفاق في مضمونه كل الخير يؤدي طوعا والزكاة المفروضة جزء منه (مصطفى تشارجه) الإنفاق وثائقيات الديانة الإسلامية، ٢٢-٢٧٩



فأبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه له مقالة رائعة حول بركة الإنفاق، «كان رسول اللّه ﷺ إذا أمرنا بالصدقة، انطلق أحدنا إلى السوق، فيحامل، فيصيب المد وإن لبعضهم اليوم لمائة ألف» (انظر: البخاري، الزكاة، ١٠/ ١٤١٦)

قال رسول اللّه ﷺ:

"كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ- أَوْ قَالَ: يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ-"

لذلك كان أبو الخير من رواة هذا الحديث لا يخطئه يوم إلا تصدق فيه بشيء ولو كعكة أو بصلة أو كذا. (انظر: أحمد، الرسالة، رقم ١٧٣٣٣؛ الهيثمي ٣، ١١٠)

يقول لنا حضرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

أمرنا رسول اللّه ﷺأن نتصدق فوافق ذلك عندي مالاً، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول اللّه ﷺ:

"مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟"

قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال:

"يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟"



قال: أبقيت لهم اللّه ورسوله، قلت: لا أسبقه إلى شيء أبداً. (الترمذي، المناقب، ١٦/ ٣٦٧٥)

عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري: يروي لنا أن أمه أرادت أن توصي، ثم أخرت ذلك إلى أن تصبح. فهلكت، وقد كانت همت بأن تعتق. فقال عبد الرحمن: فقلت للقاسم بن محمد: أينفعها أن أعتق عنها، فقال القاسم: إن سعد بن عبادة قال لرسول اللّه ﷺ: إن أمي هلكت فهل ينفعها أن أعتق عنها؟ فقال رسول اللّه ﷺ: **"نعم"** (الموطأ، جـ٢ عتق، ص ٧٧٩، رقم ١٣)

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أن رجلاً قال للنبي ﷺ:

إن أمي افتلتت نفسها وأراها لو تكلمت تصدقت، أفأتصدق عنها؟ قال:

"نَعَمْ تَصَدَّقْ عَنْهَا" (البخاري، وصايا، ١٩؛ أبو داود، وصايا، ٢٨٨١)

كان الحارث بن النعمان رضي الله عنه من الصحابة الكرام قد ذهب بصره فاتخذ خيطاً في مصلاه إلى باب حجرته ووضع عنده مكتلاً فيه تمر، وغيره، فكان إذا جاء المسكين فسلم أخذ من ذلك المكتل، ثم أخذ بطرف الخيط حتى يناوله، وكان أهله يقولون:



نحن نكفيك فقال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:

"**مُنَاوَلَةُ الْمِسْكِينِ تَقِي مِيتَةَ السُّوءِ**" (الهيثمي، جـ٣، ص١١٢/ ٤٦٢٤؛ ابن سعد، ٣، ٨٨٤)

تروي لنا حضرة السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لزوجاته:

"**أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا**"

قالت: فكن يتطاولن أَيَّتُهُنَّ أطول يداً، قالت: فكانت أطولنا يداً زينب، لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق. (مسلم، فضائل الصحابة، جـ٤/ ٢٤٥٢)

هذا يعني أن إنسان عصر السعادة شارك غيره حتى أنهم أصبحوا مستعدين للنفقة طوعاً الفقراء والأغنياء، المرضى والأصحاء.

ذات يوم جاء فقير إلى حضرة عثمان رضي الله عنه وقال له: ذهبتم يا أصحاب الأموال بالخير تتصدقون وتعتقون وتحجون وتنفقون، فقال عثمان: وإنكم لتغبطوننا؟ قال: إنا لنغبطكم قال: فواللّه لدرهم ينفقه أحد من جهد خير من عشرة آلاف غيض من فيض". "هب" (انظر: علي المتقي، كنز العمال، حـ ٦، ص٦١٢/ ١٧٠٩٨؛ البيهقي، شعب، جـ٣، ص٢٥١)



الصيام لا مثيل له:

أدرك الصحابة ﭫ أن الصيام لا مثيل له. يروي أبو أمامة ﭬ أنه قال لرسول اللّه ﷺ يا رسول اللّه مرني بأمر ينفعني اللّه به، قال:

"**عَلَيْكَ بِالصِّيَامِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ**" (النسائي، الصيام، ٤٣/ ٢٢٢١)

لما هاجرت أم أيمن ﭭ أمست بالمنصرف دون الروحاء فعطشت وليس معها ماء وهي صائمة فجهدها العطش فدلي عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض فأخذته فشربت منه حتى رويت فكانت تقول:

ما أصابني بعد ذلك عطش، ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر فما عطشت بعد تلك الشربة وإن كنت لأصوم في اليوم الحار فما أعطش. (ابن سعد، جـ٨، ص٢٢٤)

نوى **حضرة حمزة** ﭬ الصيام يوم أحد وقال:

"إذا استشهدت لسوف ألقى ربي وأنا صائم".

أنس ابن مالك ﭬ قال:

(كان أبو طلحة زوج أمي لا يصوم على عهد النبي ﷺ من أجل الغزو، فلما قبض النبي ﷺ لم أره مفطراً إلا يوم فطر أو أضحى)

كان أبو طلحة من الشجعان في ميدان الحرب وكان يُفضِّل الجهاد على الصيام، ولكنه بعد وفاة النبي ﷺ فضّل الصيام بعد أن قلّل من جهاده، وكان يقضي معظم أوقاته صائماً ويقال إنه عاش أربعاً وعشرين سنة بعد وفاة النبي ﷺ، إلا أنه وفي آخر أيامه قرأ هذه الآية الكريمة:

﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة، ٤١)

فقال: استنفرنا اللّه شيوخاً وشباناً جهزوني فقال له بنوه: نحن نغزو عنك فأبى، فجهزوه فغزا في البحر فمات فدفنوه بعد سبعة أيام ولم يتغير. (انظر: ابن حجر، فتح الباري، الجهاد، ٢٩/ ٢٨٢٨)

اصطحب أبو بردة ﵁ ويزيد بن أبي كبشة في سفر، فكان يزيد يصوم في السفر، فقال له أبو بردة: سمعت أبا موسى مراراً يقول: قال رسول اللّه ﷺ:

"إِذَا مَرِضَ العَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا" (انظر: البخاري، الجهاد، ١٣٤/ ٢٩٩٦)

شهر رمضان في عصر السعادة، يستعدّ له بالبهجة والسرور وتحضير الأجواء الروحانية الخاصة، هذه



الأجواء الرمضانية نقلها المؤمنون ﷺ إلى أولادهم، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لِنَشْوَانٍ (لرجل سكران) في رمضان: "وَيْلَكَ، وَصِبْيَانُنَا صِيَامٌ، فَضَرَبَهُ" (البخاري، الصوم، ٤٧)

يروي لنا أبو الدرداء رضي الله عنه كيف أن لِلصيام قيمة عنده فيقول: لولا ثلاث لأحببت أن لا أبقى في الدنيا، وَضْعُ وجهي لخالقي في الليل والنهار وظمأ الهواجر ومقاعد أقوام ينتقون الكلام كما تنتقى الفاكهة. (انظر: المناوي، فيض القدير، جـ٢، ص ٨/ ١١٩٣)

التفاني للحج والعمرة

الصحابة الكرام ﷺ تلهفوا للحج والعمرة والطواف حول الكعبة ولم يتركوا هذه العبادات والشعائر العلوية وملؤوا صدورهم من عبير هوائها الروحاني، ونفوسهم من الأغذية الروحانية المعنوية التي نزلت على الحرمين، اقتفوا أثر المعنويات التي تركها الأنبياء منذ حضرة آدم عليه السلام إلى قلوب العاشقين، وأخذوا نصيباً من ذكراهم واعتبروا من أحوالهم، وعظّموا وبجّلوا هذه الأمكنة لوجود الإشارات الربانية فيها، وذكروا الحق بكل وسيلة في المقامات المقدسة.

البراء بن المعرور رضي الله عنه كان من اثني عشر نقيباً الذين



بايعوا النبي ﷺ بيعة العقبة الأولى ووعده بالزيارة وأداء الحج في السنة القادمة وفي موسم الحج، لكنه رحل عن الدنيا قبل حلول الموعد.

كان البراء بن معرور أول من استقبل القبلة حياً وميتاً قبل أن يوجهها رسول اللّه ﷺ، فأمره النبي ﷺ أن يستقبل بيت المقدس والنبي عليه السلام يومئذ بمكة فأطاع البراء النبي عليه السلام حتى إذا حضرته الوفاة قال:وجهوني في قبري نحو القبلة. أول من صلى عليه النبي ﷺ حين قدم المدينة البراء بن معرور، وقال:

"اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَارْضَ عَنْهُ، وَقَدْ فَعَلْتَ"

(انظر: ابن عبد البر، جـ١، ص١٥٣؛ ابن سعد، جـ ٣، ص ٦١٩-٦٢٠)

تروي لنا حضرة السيدة عائشة رضي الله عنهاأنها سألت رسول فقالت: يا رسول اللّه، ألا نغزو ونجاهد معكم؟ فقال:

"لَكِنَّ أَحْسَنَ الجِهَادِ وَأَجْمَلَهُ الحَجُّ، حَجٌّ مَبْرُورٌ"

فقالت عائشة رضي الله عنها:

«فلا أَدَعُ الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول اللّه ﷺ»

(البخاري، حج النساء، رقم١٨٦١)



عن عمرﷺ، قال: استأذنت النبي ﷺ في العمرة، فأذن لي، وقال ﷺ: **"لا تنسنا يا أخي من دعائك"**

فقال كلمة ما يَسُرُّنِي أن لي بها الدنيا. (انظر: أبو داود، الوتر، ٢٣/ ١٤٩٨؛ الترمذي، الدعوات، ١٠٩/ ٣٥٦٢)

إذن إلتفات النبي ﷺ إلى الصحابة ﷺ يعتبر أمراً ذا معنى وشأناً عظيماً لديهم.

لقد تحمّل الصحابة ﷺ في سبيل الحج والعمرة كل المشاق والصعاب والفداء والتضحية، حتى أن حضرة السيدة عائشة ﷺ لم تعتمر لحيضها فتروي لنا ذلك إذ تقول:

خرجنا مع النبي ﷺ في حجة الوداع فأهللنا بعمرة، ثم قال النبي ﷺ:

"مَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيُهِلَّ بِالحَجِّ مَعَ العُمْرَةِ، ثُمَّ لاَ يَحِلَّ حَتَّى يَحِلَّ مِنْهُمَا جَمِيعًا"

فقدمت مكة وأنا حائض، ولم أطف بالبيت، ولا بين الصفا والمروة، فشكوت ذلك إلى النبي ﷺ، فقال:

"انْقُضِي رَأْسَكِ وَامْتَشِطِي وَأَهِلِّي بِالحَجِّ، وَدَعِي العُمْرَةَ"



ففعلت، فلما قضينا الحج أرسلني النبي ﷺ مع أخي عبد الرحمن بن أبي بكر إلى التنعيم فاعتمرت،

فقال رسول الله ﷺ:

"هَذِهِ مَكَانَ عُمْرَتِكِ" ... (انظر: البخاري، عمرة، ٨/ ١٥٥٦)

تعامل الصحابة ﷺ في الحج كان في غاية الرقة واللطف،والرسول ﷺ وصّى حضرة عمر بن الخطاب ﷺ في أثناء الطواف أن يتمهل فقال له:

"يَا عُمَرُ إِنَّكَ رَجُلٌ قَوِيٌّ لَا تُزَاحِمْ عَلَى الْحَجَرِ فَتُؤْذِي الضَّعِيفَ، إِنْ وَجَدْتَ خَلْوَةً فَاسْتَلِمْهُ، وَإِلَّا فَاسْتَقْبِلْهُ وَهَلِّلْ وَكَبِّرْ" (انظر: الهيثمي، جـ٣، ص ٢٤١/ ٥٤٧٦؛ أحمد، جـ١، ص ٢٨)

النساء كن يطفن في مكان بعيد عن الرجال ولم يدخلن بينهم، كانت عائشة ﷺ تطوف حجرة من الرجال، لا تخالطهم، فقالت لها امرأة: انطلقي نستلم (نمس الحجر الأسود) يا أم المؤمنين، قالت: «انطلقي عنك» ، وأبت أن يخرجن متنكرات بالليل فيطفن مع الرجال، ولكنهن كن إذا دخلن البيت (داخل الكعبة)، قمن حتى يدخلن، فأُخرِج الرجال ثم دخلت عائشة ﷺ ومن معها. (البخاري، حج، ٦٤،/ ١٦١٨)



ومرة أخرى توعكت حضرة السيدة أم سلمة رضي الله عنها في الحج ولم تطف بالبيت الحرام وكان الوفد سيفارق مكة فقال لها رسول اللّه صلى الله عليه وسلم:

"إذا أقيمت صلاة الصبح فطوفي على بعيرك والناس يصلون" ففعلت ذلك، فلم تصل حتى خرجت. (انظر: البخاري، حج، ٧١/ ١٦٢٦)

قالت أم سلمة: كيف هذا يا رسول اللّه أني مريضة؟ وردّ النبي صلى الله عليه وسلم: **"طُوفِي مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ وَأَنْتِ رَاكِبَةٌ"**

فطفت ورسول اللّه صلى الله عليه وسلم حينئذ يصلي إلى جنب البيت وهو يقرأ: والطور وكتاب مسطور.. (البخاري، حج، ٦٤/ ١٦١٩)

هذه الرواية تفيد أن للنساء الطواف مع الرجال بشرط أن تكون من وراء الرجال، لأن الطواف عبادة مثل الصلاة، وفي الصلاة النساء يصلِّين خلف الرجال والطوافُ كذلك.

تحصيل القرآن الكريم والحديث الشريف

اهتم الصحابة الكرام أهل عصر السعادة بالقرآن الكريم والحديث الشريف وذلك إمتثالاً لقوله تعالى:

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص، ٢٩)

وكذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ (فاطر، ٢٩)

إنَّ رسول اللّه ﷺ كان يعلم الآيات المنزلة للصحابة ثم الصحابيات[٨]، وكانوا يتعهدون الوحي بالحفظ والكتابة وكانت الكتابة ظاهرة بينهم وقد تكاتفوا وتكافلوا فيما بينهم من كتابة الآيات فالذي لا يعرف الكتابة يحضر أدواتها والكاتب يكتب لهم طوعاً وبالمجان[٩]

هكذا فقد طبقت الآيات القرآنية منذ بدء نزولها وفي أول أدوار الإسلام ولو أدى ذلك إلى تعرض المسلمين لتعذيب وظلم كفار قريش غير المتحمّل، ففي أوائل سنوات الإسلام حضرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل في الإسلام بعد تلاوته آيات من القرآن الكريم مكتوبة على الصحيفة.[١٠]

تَسلَّم رافع بن مالك رضي الله عنه من النبي ﷺ نصّاً قرآنياً مكتوباً لكل الآيات والسور الموحى بها حتى ذلك

٨ انظر: ابن اسحاق، سيرة، ص ١٢٨

٩ انظر: البيهقي، السنن الكبرى، جـ٦/ ٦

١٠ انظر: ابن هشام، حـ ١، ص ٣٦٩-٣٧١



الحين وكان ذلك في بيعة العقبة، وفي المدينة كان رافع ﷺ يتلو ويعلم الناس هذه الآيات والسور في مسجده الذي بناه في حيه وعرف بأول مسجد في عالم الإسلام.[١١]

وكمثال آخر فإنَّ عبد اللّه بن مسعود ﷺ يروي أن الصحابة الكرام متى دخلوا إلى بيوتهم، كانت زوجة كل واحد منهم تسأله هذين السؤالين ١- كم آية نزلت اليوم من القرآن الكريم؟ ٢- ماذا حفظت من أحاديث رسول اللّه ﷺ. (عبد اللّه حميد كشك، في رحاب التفسير، جـ ١، ص ٢٦)

يتابع عبد اللّه بن مسعود ﷺ ويقول:

«واللّه الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب اللّه إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب اللّه إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب اللّه، تبلغه الإبل لركبت إليه» (البخاري، فضائل القرآن، ٨، ٥٠٠٢)

الصحابي الجليل عبد اللّه بن مسعود ﷺ كان يقرئ الرجل الآية، ثم يقول:

---

١١ انظر: ابن حجر، الإصابة، جـ٢، ص ١٨٩-١٩٠؛ ابن كثير، البداية، جـ٣، ص١٥٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة، جـ٢، ص١٥٧.



«لَهِيَ خير مما طلعت عليه الشمس، أو مما على الأرض من شيء حتى يقول ذلك في القرآن كله» (انظر: الهيثمي، جـ ٧ ، ص ١٦٦/ ١١٦٧٨)

وهذا القول مهم جداً لأنه يُظهِر مدى درجة انشغال الصحابة الكرام ﷺ بعلوم القرآن، منْ يطلُبْ العلم يتفكر في معاني القرآن الكريم ويتعمق في تفسيره ويجيدُ يجِدْ قراءته لأنه حوى علم الأولين والآخرين.

الصحابة الكرام ﷺ كانوا يتدارسون القرآن الكريم والحديث، وخاصة أصحاب الصفة الحاضرين ليلاً ونهاراً يتلون القرآن ويتدارسونه ويتعلمونه.

حضرة عمر ﷺ عمّق فكره وفهمه حتى يفهم آيات القرآن الكريم ثم يطبقها بشكل عملي في حياته، وخير دليل على ذلك قوله أتممت سورة البقرة في اثنتي عشرة سنة ووفّقت لتطبيقها في حياتي وضحيت بِجزور شكراً للّه تعالى على إتمامها. (انظر: القرطبي، ١-٤٠)

وبحسب رواية الإمام مالك فإن عبد اللّه بن عمر ﷺ تدارس لتحصيل وتطبيق آيات سورة البقرة ثماني سنوات كاملة، لأنه يقرأ القرآن الكريم ليتعلم فرائضه



وأحكامه ومعلقاته، وكان يتلو القرآن ثم يطبق ذلك في حياته.[12] لذلك قال حضرة أبي بكر رضي الله عنه: (لأن أعرب آية أحب إليّ من أن أحفظ آية)

وذلك لأن فهم الإعراب يعين على فهم المعنى. والقرآن نزل للتدبر والعمل. (انظر: ابن الأنباري، كتاب إيضاح الوقف، جـ١، ص٢٣)

أيضاً جاء أحدهم إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال له: كيف ترى في قراءة القرآن في سبع؟ فقال زيد: «حسن. ولأن أقرأه في نصف، أو عشر، أحب إلي» . وسلني لم ذاك؟ قال: فإني أسألك. قال زيد «لكي أتدبره وأقف عليه»[13] .

حَضَّ حضرة عثمان بن عفان رضي الله عنه الناس على كتابة القرآن للقراءة الشخصية بعد إتمام جمعه بين دفتي المصحف[14] وذلك لأن الناس قبل جمع المصحف كانوا قد دوّنوا بعض الآيات والسور من القرآن ، وما استطاعوا تدوينه كاملاً، وهكذا بعد تمام نزول الوحي

١٢ انظر: الموطأ، القرآن، ١١؛ الكتاني، التراتيب، ١٩١
١٣ انظر: ابن عبد البر، الإستذكار، جـ ٢، ص٤٧٧
١٤ انظر: ابن شيبه، تاريخ المدينة ١٠٠٢



وجمع القرآن بين دفتي المصحف من قِبَل لجنة موثوقة من الصحابة الكرام وتصديق الصحابة الحفاظ عليه صار ممكناً للناس نسخ القرآن الكريم كاملاً وبسهولة ويسر، واستطاعوا صناعة نسخ لأنفسهم، ويقول عبيد اللّه بن عبد اللّه رضي الله عنه:

أنه نسخ نسخة عن مصحف المدينة الموجود في المسجد النبوي في خلافة حضرة عثمان رضي الله عنه، وكان عبيد اللّه يتلو منه على الجماعة كل صباح.[15]

ولقد أرسل وبعث رسول اللّه الأكرم صلى الله عليه وسلم وخلفاؤُه عدداً كبيراً من الصحابة العلماء إلى مختلف مراكز العالم الإسلامي لتعليم القرآن الكريم والسنة السنية،[16] والنبي صلى الله عليه وسلم مثلاً كان قد أرسل الصحابي الجليل مصعب بن عمير إلى المدينة قبل الهجرة، وكان يحدث الناس عن الإسلام ويتلو عليهم القرآن في كل فرصة سانحة.[17]

---

١٥ انظر: ابن شيبه، تاريخ المدينة، ص ٧؛ ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص ٥١

١٦ انظر: الدارمي، السنن، جـ ١، ص١٣٥؛ ابن سعد، جـ ٣، ص٦

١٧ انظر: ابن هشام، جـ٢، ص٤٣-٤٦؛ أبو نعيم، دلائل النبوة، جـ١، ص ٣٠٧؛ الهيثمي، جـ٦، ص٤١؛ الذهبي، السيرة، جـ١، ص١٨٢



كما أرسل أبو الدرداء ﵁ إلى الشام وأمضى فيها وقتاً طويلاً وشكّل حلقات العلم المشهورة والتي زاد عدد طلابها عن ألف وستمائة طالب، وقد قسم الطلاب إلى عشر حلقات وعيّن عليهم مشرفاً من خواص طلابه ومريديه وتابع تطورهم وتقدمهم، فالمتقدم والمتفوّق من هذا المستوى ارتفع ونال شرف الدراسة على يد هذا الصحابي الجليل المبارك مباشرة، هكذا امتلك الطلاب المتفوقون امتيازاً خاصاً ألا وهو تحصيل العلم على يد أبي الدرداء مباشرة، وأنهم سيكونون أساتذة في المستويات الأقل درجة،[١٨] هذا هو النظام المتّبع من جميع الصحابة الكرام في المراكز والبلدان الأخرى[١٩]

أرسل حضرة عمر ﵁ يزيد بن عبد اللّه إلى البدو المتطرفين لتعليمهم القرآن الكريم، وعيّن أبا سفيان لمتابعة وملاحظة مدى تحصيل البدو للقرآن الكريم. وعلاوة على ذلك فقد عيّن حضرة عمر ﵁ ثلاثة من الصحابة لتعليم الأطفال القرآن الكريم في المدينة وأمر لهم براتب شهري وقدره خمسة عشر درهماً وأمرهم

١٨ انظر: الذهبي، سيرة أعلام النبلاء، جـ٢، ص ٣٤٤-٣٤٦

١٩ انظر: البلازوري، الأنصاب، جـ١، ص١١٠؛ الحاكم، جـ١، ص٢٢٠



بتعليم خمس آيات ميسرة من القرآن حتى الراشدين.[20]

الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما كان يدرس في المستويات العليا فحيثما ذهب يجتمع الناس حوله طلباً للعلم، وعندما قام خطيباً بالناس في مسجد البصرة تلا عليهم سورة البقرة ثم وضّح لهم موضوعها.[21]

سمع حضرة الإمام علي رضي الله عنه مرة ضجة شديدة من مسجد الكوفة فقال: ما هؤلاء؟ فقال: قوم يقرءون القرآن، أو يتعلمون القرآن، فقال: أما إنهم كانوا أحب الناس إلى رسول اللّه ﷺ. (الهيثمي، جـ٧، ص١٦٢، ١١٦٤٤)

روى مجاهد المفسر المعروف ومن كبار التابعين (المتوفّى ١٠٣ هـ) عن ابن أبي ليلى المتوفى (٨٣ هـ) عالم الحديث والفقه والقراءات: أنه أسس مكتبة مكوّنة من القرآن الكريم فقط، وكان الناس يتجمعون عنده طلباً لقراءة القرآن[22].

أبو عبد الرحمن السُلَمِي بدأ حياته معلماً للقرآن في خلافة حضرة عثمان رضي الله عنه ثم استمرّ في هذا العمل سنوات عدة يقول قاصداً المسجد الذي كان إمامه ومعلماً فيه في

٢٠ انظر: الدكتور البروفيسور م-م، تاريخ القرآن

٢١ انظر: الحاكم، جـ ١، ص٢٢٠

٢٢ انظر: ابن سعد، جـ٤، ص٢٥٣؛ ابن أبي داود، المصنف، ص ١٥١



الكوفة، السبب الوحيد أنني في هذا المقام قول النبي ﷺ:

"خيركم من تعلم القرآن وعلمه"

وأنا هنا لنيل البشرى من هذا الحديث الشريف.

(انظر: البخاري، فضائل القرآن، ٢١؛ الترمذي، فضائل القرآن، ١٥/ ٢٩٠٧)

وقد سَعى مجتمع عصر السعادة إلى تعلم الحديث الشريف مع القرآن الكريم، ونضرب مثلاً على ذلك عروة بن الزبير رضي الله عنه حيث يقول: في يوم مِن الأيام قالت لي خالتي حضرة عائشة رضي الله عنها:

يا ابن أختي سمعت أن عبد اللّه بن عمرو سيزورنا في طريقه للحج، احرص على لقائه وسؤاله لأنه تلقى علماً كثيراً من رسول اللّه ﷺ، لذلك حرصت على لقائه وسألته عن أشياء كثيرة تعلّمَها من رسول اللّه ﷺ. [٢٣]

عبد اللّه بن عمرو رضي الله عنه كان كاتباً لأحاديث الرسول ﷺ لهذا أصبح بعد فترة راوياً لكثير من الأحاديث العظيمة. [٢٤]

علاوة على ذلك فإنَّ الصحابة الكرام رضي الله عنهم من الشباب

---

٢٣ انظر: مسلم، علم، ١٤/ ١٢٣٥

٢٤ انظر: بخاري، علم، ٣٩



والراشدين والمسنين رغم تقدمهم في السن فقد بذلوا جهوداً مضاعفة لتحصيل العلم.[٢٥]

الشفاء والمعافاة ببركة القرآن الكريم

القرآن الكريم عماد حياة مجتمع عصر السعادة حتى أنهم كانوا يرجعون إلى كلام اللّه تعالى في كل أعمالهم، إلى حد أنهم طلبوا الشفاء والتداوي من الأمراض بتلاوة آيات من القرآن الكريم.

عن أبي سعيد الخدري أن ناساً من أصحاب رسول اللّه ﷺ كانوا في سفر فمروا بحي من أحياء العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم.

فقالوا لهم هل فيكم راق؟

فإن سيد الحي لديغ أو مصاب فقال رجل منهم نعم فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب فبرأ الرجل فأعطي قطيعاً من غنم فأبى أن يقبلها وقال حتى أذكر ذلك للنبي ﷺ فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال يا رسول اللّه واللّه ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب فتبسم وقال:

٢٥ انظر: بخاري، علم، ١٥



"وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟"

ثم قال:

"خُذُوا مِنْهُمْ، وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ" (انظر: مسلم، السلام، جـ٤، ١٧٢٧، رقم ٢٢٠١)

وأما قوله ﷺ "واضربوا لي بسهم معكم" فهذا لإسعادهم وإدخال السرور إلى قلوبهم ولبيان أن أخذ المال مقابل التداوي حلال ولتأييد عملهم. (انظر: عيني، عمدة القارئ، جـ٢١، ص٢٧١-٢٧٢)

وعن عبد الملك بن عمير رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال:

"فَاتِحَةُ الْكِتَابِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ"

(انظر: البيهقي، شعب الإيمان،فضائل السور، ١/ ٢١٥٤)

يروى أن رجلاً يدعى علاقة بن سحار، أتى رسول اللّه ﷺ فأسلم، ثم أقبل راجعاً من عنده، فمر على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد، فجاءَت عائلة المجنون إلى الصحابي المبارك وقالت: حسب ما سمعنا فإن صاحبكم (رسول اللّه) جاء بخير كثير من ربه، فهل عندك شفاء لهذا المريض؟ فرقيته بفاتحة الكتاب، فبرأ، فأعطوني مائة شاة، فأتيت رسول اللّه ﷺ فأخبرته، فقال:



"هَلْ إِلَّا هَذَا" وقال في موضع آخر "هَلْ قُلْتَ غَيْرَ هَذَا؟"

قلت: لا، قال

"خُذْهَا فَلَعَمْرِي لَمَنْ أَكَلَ بِرُقْيَةِ بَاطِلٍ لَقَدْ أَكَلْتَ بِرُقْيَةِ حَقٍّ" (انظر: أبو داود، الطب، ١٩/ ٣٨٩٦؛ أحمد، جـ٧، ص٢١١)

الإستغفار بالأسحار

يقول اللّه تعالى في كتابه العزيز:

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ. وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الذاريات، ١٧-١٨)

لقد كان وقتُ السحر هو الوقت المفضل في مجتمع عصر السعادة لقيام الليل والأذكار والأوراد وقراءة القرآن على الأسرة الوثيرة الناعمة، في هذا المجتمع السعيد يعتبر وقت السحر والفجر وقت العناية الفائقة بالدعاء والإستغفار.[٢٦] لذلك كان يُسمع دويٌّ كدوي النحل صادراً من بيوت الصحابة رضي الله عنهم في ظلمات الليالي.

يصف لنا القاضي البيضاوي هذا المشهد قائلاً:

٢٦ انظر: الهيثمي، جـ٧، ص٤٧؛ مبارك فوري، تحفة الأخوذي، جـ٢، ص ٤٧٣-٤٧٤؛ ابن حجر، تلخيص الخبير، جـ٤، ص ٢٠٦



"عندما فرضت الصلوات الخمس، اعتبر قيام الليل والتهجد سنة، كان رسول اللّه ﷺ يتجول ليلاً في المدينة ليرى أحوالها فيسمع دوياً كدوي النحل صادراً من بيوت الصحابة من الذكر والقراءة والتسبيح." (انظر: أنوار التنزيل، جـ٤، ص١١١)

قال رسول اللّه ﷺ مادحاً الأشعريين:

"إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الأَشْعَرِيِّينَ بِالقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ... "

(انظر: البخاري، المغازي، ٤٠/ ٤٢٣٢)

تقول لنا السيدة عائشة رضي الله عنها:

أن رسول اللّه ﷺ تهجد ليلة في بيتي، فسمع صوت عَبَّادٍ يصلي في المسجد، فقال:

"يَا عَائِشَةُ أَصَوْتُ عَبَّادٍ هَذَا؟"،

قلت: نعم، قال:

"اللَّهُمَّ ارْحَمْ عَبَّادًا" (انظر: البخاري، الشهادات، ١١/ ٢٦٥٥)



أخّر رسول اللّه ﷺ العشاء ثمان ليال أو تسع ليال، إلى ثلث الليل ،

فقال أبو بكر: يا رسول اللّه، لو أنك عجلت لكان أمثل لقيامنا من الليل، قال:

«فعجل بعد ذلك» ومن ذلك الوقت والرسول ﷺ يبكر في العشاء. (انظر: أحمد، مسند، رقم ٢٠٤٨٣)

صلى عمر رضي الله عنه يوماً التهجد ثم دعا بهذا الدعاء:

«قد ترى مقامي وتعلم حاجتي، فأرجعني من عندك يا اللّه بحاجتي مفلحاً منجحاً مستجيباً مستجاباً لي قد غفرت لي ورحمتني»

فإذا قضى صلاته تابع قائلاً:

«اللّهم لا أرى شيئاً من الدنيا يدوم ولا أرى حالاً فيها يستقيم، اجعلني أنطق فيها بعلم وأصمت فيها بحكم. اللّهم لا تكثر لي من الدنيا فأطغى ولا تقل لي منها فأنسى فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى». (انظر: ابن أبي شيبة، المصنف، جـ ٧، ص٩٩،/ ٣٤٤٩٣)

سُئلت حضرة أمّنا عائشة رضي الله عنها يوماً: أيّ الناس كان أحب إلى رسول اللّه ﷺ؟ قالت: «فاطمة» ، فقيل: من



الرجال؟ قالت: «زوجها» ، إن كان ما عَلِمْتُ صَوَّامًا قَوَّامًا. (انظر: الترمذي، مناقب، ٦٠/ ٣٨٧٤)

يقول عبد اللّه بن عامر ربيعة رضي الله عنه: توفي أبي في صلاة التهجد التي كان مشغولاً بها طوال حياته، وعندما حصلت الفتنة ونشب الناس في الطعن على عثمان قام أبي فصلى من الليل، قال: فقيل له: قم فاسأل اللّه أن يعيذك من الفتنة التي أعاذ منها عباده الصالحين، قال: فقام فصلى فمرض، قال: فما رئي خارجاً حتى مات.

(انظر: الهيثمي، جـ٩، ص٣٠١؛ ابن أبي شيبة، المصنف، جـ٦، ص٣٦٢/ ٣٢٠٤٤)

ومن التابعين عامر بن قيس رضي الله عنه: بكى عندما اقتربت ساعة رحيله عن الدنيا فسُئل:ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعاً من الموت، ولا حرصاً على الدنيا، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر، وقيام الليل.. (انظر: الذهبي، السيرة، جـ ٤، ص١٩)

وقت السحر عند أصحاب القلوب والسرائر هو وقت أفضل العبادات، هو وقت قبول الإستغفار والأدعية، فيه المعاصي تمحى الأبدان تتعافى، فيه إحياء الليالي امتثالاً لأمر اللّه تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء...﴾ (آل عمران، آية ٢٦)

هذه الآية الكريمة أشارت إلى نقطة هامة وهي حقيقة الملك والسلطان. (الخادمي، مجموعة الرسائل، رسالة الوصية والنصيحة، ص ١٤٩)

العبادة شغلهم الشاغل

كانت العبادة عند مجتمع عصر السعادة جل اهتمامهم ومع ذلك ما اعتبروا ذلك كافياً وعاشوا دائماً بين الخوف والرجاء.

تروي لنا حضرة أمنا السيدة عائشة رضي الله عنها فتقول:

سألت رسول اللّه ﷺ عن هذه الآية:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ...﴾ (المؤمنون،٦٠)

قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال:

"لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم ﴿أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون،٦١)**"**

(الترمذي، التفسير، ٣٢/ ٣١٧٥؛ ابن ماجه، الزهد، ٢٠)

بعد أداء العبادة بدقة وإتقان التجؤوا إلى اللّه تعالى لقبولها، لأنهم خافوا ألا تقبل، فالأعمال كدعاء تحتاج إلى القبول من اللّه تعالى.



يقال أن علياً ﵁ كانت إذا جائت الصلاة تزلزل وتغير لونه، فيقال له ما لَكَّ يا أمير المؤمنين؟ فيقول ﵁: أمانة عرضها اللّه ﷻ على السموات والأرض فَأَبَيْنَ أن يحملنها وَأَشْفَقْنَ منها وحملها الإنسان.[27]

فلا أدري أحسن أداء ما حملت أَمْ لا. (انظر: السراج، اللمع، ص ١٨١)

المسارعون في الخيرات والفضائل

سارع مجتمع عصر الصحابة إلى فعل الخير والفضائل. يروي لنا عبد الرحمن بن أبي بكر أن رسول اللّه ﷺ قال لأصحابه بعد تأدية صلاة الفجر:

"هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ أَصْبَحَ صَائِمًا؟ ".

فقال عمر: يا رسول اللّه، لم أحدث نفسي بالصوم البارحة فأصبحت مفطراً. فقال أبو بكر: لكني حدثت نفسي بالصوم البارحة فأصبحت صائماً.

فقال رسول اللّه ﷺ:

"هَلْ مِنْكُمُ الْيَوْمَ أَحَدٌ عَادَ مَرِيضًا؟ ".

٢٧ انظر: سورة الأحزاب، ٧٢



فقال عمر: يا رسول اللّه، صلينا ثم لم نبرح فكيف نعود المرضى؟

فقال أبو بكر: بلغني أن أخي عبد الرحمن بن عوف اشتكى فجعلت طريقي عليه حين خرجت إلى المسجد لأنظر كيف أصبح.

فقال رسول اللّه ﷺ:

"هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ أَطْعَمَ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ ".

فقال عمر: يا رسول اللّه، صلينا ثم لم نبرح فقال أبو بكر: دخلت المسجد فإذا أنا بسائل يسأل فوجدت كسرة خبز شعير في يد عبد الرحمن فأخذتها فدفعتها إليه.

فقال رسول اللّه ﷺ:

"أَنْتَ فَأَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ".

فتنفس عمر رضي الله عنه فقال: واهاً للجنة.

فقال النبي ﷺ كلمة رضي بها عمر:

"رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ لَمْ يُرِدْ خَيْرًا قَطُّ إِلَّا سَبَقَهُ أَبُو بَكْرٍ إِلَيْهِ". (انظر: الهيثمي، جـ٣، ص١٦٣-١٦٤/ ٤٩٤٩؛ أبو داود، الزكاة، جـ٣٦، ص١٦٧٠؛ الحاكم، جـ١، ص٥٧١/ ١٥٠١)



هذه الحادثة تحضنا على شغل كل أوقاتنا لرضاء اللّه ﷻ والنتيجة بحسب النية وهذا ما تؤكده الآيات الكريمة:

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ. وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ (الانشراح، ٧-٨)

اقتفاءً بِأثر السنة السنية خطوة خطوة

قال الفضيل بن عياض رحمه اللّه:

إنَّ العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالِصاً صواباً فالخالص أن يكون لله ﷻ، والصواب أن يكون على السنة.[٢٨]

لأن طاعة النبي ﷺ هي طاعة للّه تعالى وهذا ما صرح به القرآن الكريم علينا حيث قال:

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّٰهَ﴾ (النساء، ٨٠)

لقد أدرك إنسان عصر السعادة هذه الحقيقة وثابر على تأدية جميع أحواله وحركاته وأعماله حسب السنة.

قال جابر رضي الله عنه للشباب الذين حضروا إليه لتعلم العلم:

٢٨ انظر: ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، بيروت ١٩٩٦، ٢/ ١٢٤



كان رسول اللّه ﷺ بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به. (انظر: مسلم، الحج، ١٤٧/ ١٢١٨)

قال أمية ابن عبد اللّه لعبد اللّه بن عمر رضي الله عنهما:

إنا نجد صلاة الحضر وصلاة الخوف في القرآن، ولا نجد صلاة السفر؟ فقال له عبد اللّه رضي الله عنه:

«إن اللّه بعث إلينا محمداً ﷺ ولا نعلم شيئاً، فإنما نفعل كما رأينا محمداً ﷺ يفعل» (انظر: ابن ماجه، إقامة ٧٣/ ١٠٦٦)

وهذا المعنى قد أكّده القرآن الكريم حيث يقول اللّه عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات، ١)

سعيد بن المسيب من أفاضل علماء التابعين رأى رجلاً يصلي بعد العصر ركعتين يكبر فيها، فقال له يا أبا محمد: أيعذبني اللّه على الصلاة؟ قال: «لا، ولكن يعذبك اللّه بخلاف السنة» (سنن الدارمي، جـ١، ص٤٠٤/ ٤٥٠)

كان حضرة علي رضي الله عنه في ذروة تتبع السنة السنية وذات يوم سأل: يركب الرجل هديه؟

فقال: لا بأس به قد كان النبي ﷺ يمر بالرجال



يمشون فيأمرهم يركبون هديه، هدي النبي ﷺ قال: ولا تتبعون شيئاً أفضل من سنة نبيكم ﷺ . (أحمد، جـ٢، ص ٩٧٩/٢٧٩)

وانظر إلى قوله ﵁ هذا كم هو معبر: قد رأينا رسول الله ﷺ قام فقمنا، وقعد فقعدنا. (أحمد،جـ٢، ص ٦٤/ ٦٣١)

وقال علي أيضاً: الطرق كلها مسدودة على الخلق الا من اقتفى اثر رسول الله ﷺ. (انظر: البروسوي، روح البيان، جـ ٢، ص ١٩٤، النساء، ٢٨)

توضأ حضرة الإمام علي ﵁ ومسح على ظاهر النعلين وقال:

لولا أني رأيت رسول اللّه ﷺ فعل كما رأيتموني فعلت، لرأيتُ أن باطن القدمين هو أحق بالمسح من ظاهرهما. (أحمد،مسند الرسالة، جـ٢، ص٤١٤/ ١٢٦٣)

صلّى عبد اللّه بن أبي أوفى الأسلمي ﵁ صاحب رسول اللّه ﷺ على جنازة ابنة له، فكبر عليها أربعاً، فمكث بعد الرابعة شيئاً،

قال: فسمعت القوم يسبحون به، من نواحي الصفوف، فسلم ثم قال: أكنتم ترون أني مكبر خمساً؟ قالوا: تخوفنا ذلك،



قال: لم أكن لأفعل، ولكن رسول اللّه ﷺ كان يكبر أربعاً، ثم يمكث ساعة، فيقول ما شاء اللّه أن يقول، ثم يسلم. (الحاكم، جـ١، ص٣٦٠؛ ابن ماجه، الجنائز، ٣٤٠/ ١٥٠٣)

غُشِي على أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ورأسه في حجر زوجته فبدأت بالعويل والنياحة وشق الجيب وهو لا يستطيع منعها وعندما أفاق حذر زوجته من ذلك قائلاً إن رسول اللّه ﷺ:

«برئ من الصالقة والحالقة والشاقة» وأنا بريء ممن برئ منه رسول اللّه ﷺ.(انظر: البخاري، جـ٢، ص ٨١/ ١٢٩٦؛ مسلم، ايمان،١٦٧؛ النسائي، جنائز، ١٧٠)

المسلم الحقيقي يتمسك بأوامر النبي ﷺ حتى في آخر لحظات حياته، والموت يُنشب مخالبه فيه.

تابع ابن عمر رضي الله عنه النبي ﷺ في كل أفعاله.

«أن رسول اللّه ﷺ حين أقبل من حجته دخل المدينة فأناخ على باب مسجده، ثم دخله فركع فيه ركعتين، ثم انصرف إلى بيته» وابن عمر رضي الله عنهما فعل كذلك طوال حياته.[29]

٢٩ انظر: أبو داود، جهاد، ١٦٦/ ٢٧٨٢

أراح رسول اللّه ﷺ جمله في بطحاء ذي الحليفة، وابن عمر فعل ذلك.[30]

كان رسول اللّه ﷺ بعد أداء الصلوات إماماً ينام في المحصب[31] القيلولة، وابن عمر كذلك.[32]

اشترى رسول اللّه ﷺ أضحية من كديد (بين مكة والمدينة) وابن عمر رضي الله عنهما فعل كذلك.[33]

فالنتيجة: إنَّ ابن عمر رضي الله عنهما كان يُسئَل لماذا تفعل هكذا؟ كانت الإجابة رأيت رسول اللّه ﷺ فعل هكذا.[34]

أبو رافع رضي الله عنه يروي لنا فيقول:

صليت مع أبي هريرة رضي الله عنه صلاة العتمة (العشاء) فقرأ إذا السماء انشقت فسجد فيها، فقلت له: ما هذه السجدة؟ فقال: سجدت بها خلف أبي القاسم ﷺ، فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه. (مسلم، مساجد، ١١٠/ ٥٧٨؛ أحمد ٢/ ٢٢٩)

٣٠ انظر: البخاري، جـ٢، ص١٣٩؛ مسلم، الحج، ٢٢٦.
٣١ المحصب: مكان بين مكة ومنى وهو إلى منى أقرب.
٣٢ انظر: البخاري، الحج، ٤٩؛ مسلم، الحج، ٣٣٧؛ الموطأ، الحج، ٢٠٧.
٣٣ انظر: الترمذي، الحج، ٦٨/ ٩٠٧.
٣٤ انظر: البخاري، وضوء، ٣٠؛ مسلم، الحج، ٢٥، ٢٤٥، ٥٢١.



يحكي لنا أبو هارون العبدي ﵁ أنه ذهب مع بعض الشباب إلى أبي سعيد ليتعلموا منه ولما رآهم قال: هؤلاء هم الذين وصّانا بهم النبي ﷺ، مرحباً بكم، أهلاً وسهلاً، لقد قال لنا رسول اللّه ﷺ:

"إِنَّ النَّاسَ لَكُمْ تَبَعٌ، وَإِنَّ رِجَالًا يَأْتُونَكُمْ مِنْ أَقْطَارِ الأَرَضِينَ يَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ، فَإِذَا أَتَوْكُمْ فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْرًا" (الترمذي، علم، ٤/ ٢٦٥٠؛ ابن ماجه، المدمة، ١٧/ ٢٢؛ الدارمي، المقدمة، ٢٦)

امرأة من بني غفار سألت رسول اللّه ﷺ كيف تطهر ملابسها من الدم؟ فأجابها:

"...خُذِي إِنَاءً مِنْ مَاءٍ، فَاطْرَحِي فِيهِ مِلْحًا، ثُمَّ اغْسِلِي مَا أَصَابَ..."

هذه المرأة طبقت الوصية بالحب طوال عمرها فكانت لا تطهر من حيضة إلاّ جعلت في طهورها ملحاً، وما غسلت ملابسها بدون الملح ووصت أن يضيف الملح إلى ماء غسل جنازتها. (انظر: أبو داود، الطهارة، ١٢٢/ ٣١٣)



وكنتيجة نستخلصها، فإنّ جيل الصحابة تابعوا النبي ﷺ في جميع أفعاله وأعماله وأقواله واقتفوا أثره في الصداقة والمشاعر والأحاسيس والحب وفي وصاياه واعتبروا ذلك أعلى درجات الذوق واللذة والسرور.







الكمال الأخلاقي

في مجتمع عصر السعادة

الكمال الأخلاقي
في مجتمع عصر السعادة

لا ريب أن مجتمع عصر السعادة كان زمناً استثنائياً في تاريخ الإنسانية من حيث الفضيلة والعدالة والإيثار وحسن الأخلاق.

وقدسية هذا العصر وسببه وجود الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بينهم.

هذا العصر متشكل من حالِ وحركاتِ وفيض وروحانية النبي ﷺ وأيضاً فإن هذا زمن المعرفة اليقينية باللّه وبرسوله عن قرب، هذه المعرفة كانت معرفة عميقة ووجدانية وفي أجواء التفكير العميق.

لنأخذ مثالاً على ذلك: الجبل العالي عندما ننظر إليه من بعيد فإننا لا يمكننا أن نراه بشكل واضح وحقيقي ويمكننا فقط رؤية ظله، وكلما اقتربنا منه أكثر تتبلور أشجاره وأنهاره وطيوره؛ إذاً كلما اقتربنا من الشيء أكثر استطعنا التعرف على جمالياته أكثر وازداد إعجابنا بها أكثر.



وهكذا فلا يمكن معرفة حقيقة وجماليات رسول اللّه ﷺ بالقراءة عنه ﷺ من السطور بل علينا قراءة ذلك من صدور المحبين.

وكيف تكون علامة ذلك الحب؟ علامته أن يكون الجواب لكل صغير أو كبير "فداك أبي وأمي يا رسول اللّه"

بالنسبة إلينا فإن علامة محبتنا له ﷺ تكون بمحبة الكتاب الكريم والسنة السنية والتي أشار إليها في حديثه ﷺ الشريف:

"تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ" (انظر: مؤطأ، جـ٥، ص١٣٢٣/ ٣٣٣٨)

لهذا يجب علينا أن نحرص على نيل رضاء اللّه تعالى ومحبة نبيه ﷺ.

ولكن ما هي الطريقة لذلك؟

الطريقة هي في السير على الدرب الذي أناره لنا الكتاب والسنة، وعلينا أن نعيش على حب كتاب اللّه وسنة نبيه، وأن نتخلق بأحسن الأخلاق الإسلامية، وعلينا أن ننشر هذا الحب في المجتمع بأجمل صُوَرِهِ.



التواضع في ذروته

لقد وصل الصحابة الكرام ﷺ إلى ذروة لا يمكن الوصول إليها إلا بعد أن تخلقوا بأخلاق الإسلام وهذا مثال على ذلك:

كان سلمان الفارسي رضي الله عنه أميراً على المدائن، فجاء رجل من أهل الشام من بني تيم اللّه، معه حمل تين، وعلى سلمان أندرورد وعباءة،

فقال لسلمان: تعال احمل وهو لا يعرف سلمان، فحمل سلمان، فرآه الناس، فعرفوه،

فقيل للشامي: هل تعرف أن حمّالك هو الوالي؟

اعتذر الشامي من سلمان وقال له عفواً ما عرفتك.

أجابه سلمان:

لا بأس لن أنزلها حتى بيتك.(انظر: ابن سعد، ٤، ٨٨)

لقد مدح اللّه تعالى عباده المتواضعين من أمثال سلمان الفارسي فقال في كتابه العزيز:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان، ٦٣)



الرحمة بحر واسع

كانت الرحمة أبرز صفات مجتمع عصر السعادة وهذه الحادثة تظهر لنا كم كانوا رحماء وكرماء بصغارهم وكبارهم.

روي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما:

أنه كان ماراً في بعض حيطان المدينة فرأى أسود، بيده رغيف، يأكل لقمة ويطعم الكلب لقمة، إلى أن شاطره الرغيف،

فقال له الحسن: ما حملك على أن شاطرته، فلم يعاينه فيه بشيء؟

قال: استحت عيناي من عينيه أن أعاينه،

فقال له: غلام من أنت؟

قال: غلام أبان بن عثمان،

فقال: والحائط؟

فقال: لأبان بن عثمان،

فقال له الحسن، أقسمت عليك، لا بَرَحْتَ حتى أعودَ إليك.



فمر فاشترى الغلام والحائط، وجاء إلى الغلام فقال: يا غلام قد اشتريتك، فقام قائماً

فقال: السمع والطاعة للّه ولرسوله ولك يا مولاي،

قال: وقد اشتريت الحائط، وأنت لوجه اللّه والحائط هبة مني إليك،

قال: فقال الغلام: يا مولاي، قد وهبت الحائط للذي وهبتني للّه. لأنك حررتني رضاء له. (ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ٧-٢٥)

النتيجة: كان هذا الرجل عبداً في الظاهر فقط، ولكنه كان سلطان العارفين حقيقة. فقد قابل ما أصابه من الرحمة والكرم بأجمل وأحسن منه وهذا يظهر فضيلته.

عبد اللّه بن المبارك رحمه اللّه من أكابر علماء التابعين في الحديث ومن الأغنياء، حج مرة مع أصدقائه من مرو، وأثناء الطريق شاهد كوخاً تسكنه امرأتان مسكينتان وبلغ بهما الجوع والحاجة حداً أنهما تأكلان من لحم طير ميت، عَدلَ عبد اللّه بن المبارك عن الحج وتبرع لهما بكل ماله وكان يساوي ألف دينار ولم يترك



له سوى عشرين ديناراً أجرة العودة إلى مرو، عاتبه أصدقاؤهُ فقال لهم: ما فعلته أكثر ثواباً من الحج.[1]

الربيع بن الهيثم كان يصلي يوماً فسُرق حصانه وكان ثمنه عشرين ألف درهم أمام عينيه وهو في الصلاة لكنه فضل متابعة الصلاة على اللحاق بالسارق، عَزّاْهُ أصدقاؤهُ فقال لهم: رأيته عندما حل حبل الحصان لكنني كنت مشغولاً بعمل محبوب لدي لذلك لم ألحق السارق. ثم بدأ أصدقاؤه يذمّون السارق فأجابهم لا تقلقوا لم يظلمني فقد ظلم نفسه، يكفيه هذا العمل ظلماً لنفسه، نحن لا نظلمه. (بابان زاده أحمد نعيم، أساس أخلاق الإسلام، ص ٨٥-٨٦)

وكم هو جميل قول الشاعر:

أمد المؤمنين برحمتك لكن ارحم الملحدين أكثر

كان مجتمع عصر السعادة في ذروة الرحمة على الحيوانات والنباتات، لذلك عندما رأى رسول اللّه ﷺ رجلاً يحلب الغنم قال:

"أَيْ فُلَانُ، إِذَا حَلَبْتَ فَأَبْقِ لِوَلَدِهَا فَإِنَّهَا مِنْ أَبَرِّ الدَّوَابِّ". (الهيثمي، جـ٨، ص١٩٦/ ١٣٧٤٣)

١ -م. سعيد خطيب أوغلو، المتصوفة الأوائل من مفهوم الحديث والسنة، إسلاميات، تموز-أيلول ١٩٩٩ جـ٢، ، ص ١٣/ ٣



مرَّ أبو الدرداء ﵁ بقوم قد أناخوا بعيراً فحملوه غِرارتين (أي التبن وهو علف الدّواب) ثم علوه بأخرى فلم يستطع البعير أن ينهض فألقاها عنه أبو الدرداء ثم أنهضه

فقال أبو الدرداء ﵁:

إن غفر اللّه لكم ما تأتون إلى البهائم ليغفرن عظيماً إني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:

"إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُوصِيكُمْ بِهَذِهِ الْعُجْمِ خَيْرًا أَنْ تَنْزِلُوا بِهَا مَنَازِلَهَا فَإِذَا أَصَابَتْكُمْ سَنَةٌ أَنْ تَنْحُوا عَنْهَا نِقيهَا" (انظر: ابن حجر، المطالب العالية، جـ٣،ص ٣٣٦/ ١٩٧٨)

لذة العفو

حتى يعفو اللّه عنا لا بد أن نعفو عن الآخرين، كل منا ارتكب الخطايا وهو ينتظر العفو من اللّه والعباد.

كان أبو بكر الصديق ﵁ ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره،

وعندما خاض مسطح في حادثة الإفك ضد السيدة عائشة ﵂، أقسم أبو بكر بألاّ ينفق عليه ولا على عائلته، فأنزل اللّه ﷻ:



﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور، ٢٢)

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

بلى واللّه إني لأحب أن يغفر اللّه لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: واللّه لا أنزعها منه أبداً، وكفّر عن يمينه. (انظر: البخاري، مغازي، ٣٤/ ٤١٤١؛ مسلم، التوبة، ٥٦)

كتب حضرة الإمام علي رضي الله عنه إلى مالك بن حارث واليه على مصر كتاباً نستطيع أن نفهم منه نظرة إنسان عصر السعادة عن العفو، يقول رضي الله عنه:

لا تنظر إلى الناس نظرة الغول إلى القطيع أشعِرهم بالمحبة والرحمة في قلبك والإحسان في تعاملك لأن الناس إخوتك في الدين والإنسانية، الناس يخطئون أحياناً ويصيبون أخرى، أمسك بيد المتعثر منهم، إن كنت تحب أن يعفو اللّه عنك اعف عنهم وسامحهم



واغفر لهم ولا تعص اللّه ولا تندم عن عفو صدر منك ولا تفرح بعتابك.[2]

قال عصام بن المصطلق: دخلت المدينة فرأيت الحسن بن علي ﵄، فأعجبني سمته وحسن روائه، فأثار مني الحسد ما كان يجنه صدري لأبيه من البغض، فقلت: أنت ابن أبي طالب! قال نعم. فبالغت في شتمه وشتم أبيه، فنظر إلي نظرة عاطف رءوف، ثم قال:

أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ . وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف، ١٩٩- ٢٠١)

ثم قال لي: خفض عليك، استغفر اللّه لي ولك إنك لو استعنتنا أعناك، ولو استرفدتنا أرفدناك، ولو استرشدتنا أرشدناك. فتوسم في الندم على ما فرط مني

---

٢ انظر: محي الدين سيدي تشلبي، أساس النظام في بخارى، الدكتور محمد أردوغان، اسطنبول ٢٠٠٠ ص ٤٧



فتلا قوله تعالى:

﴿قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف، ٩٢)

ففهمت أنه علم أنني من المعارضين لأبيه،

ثم سألني أمن أهل الشأم أنت؟

قلت نعم.

فقال: شنشنة أعرفها من أخزم، حياك اللّه وبياك، وعافاك، وآداك ، انبسط إلينا في حوائجك وما يعرض لك، تجدنا عند أفضل ظنك، إن شاء اللّه.

قال عصام:

فضاقت علي الأرض بما رحبت، ووددت أنها ساخت بي، ثم تسللت منه لواذاً، وما على وجه الأرض أحب إلي منه ومن أبيه. (انظر: القرطبي، التفسير، الأعراف، ١٩٩-٢٠١)

إن الإنسان دائماً يُغْلَبُ بالإحسان وأتلو لذلك قوله تعالى في كتابه العزيز:

﴿لَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت، ٣٤)



لنتأمل هذه القصة كم هي معبرة وكم استفدنا منها من نتائج هامة وخاصة أن الأخلاق الحسنة نتائجها مباركة دائماً وأن كسب القلوب لا يكون إلا بالعفو والإحسان والأخلاق الإسلامية التي تؤثر تأثيراً كبيراً على الناس.

روي عن ميمون بن مهران أن جاريته جاءت ذات يوم بصحفة فيها مرقة حارة، وعنده أضياف فعثرت فصبت المرقة عليه، فأراد ميمون أن يضربها،

فقالت الجارية: يا مولاي، افعل بمقتضى قوله: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ (آل عمران، ١٣٤).

قال لها: قد فعلت.

فقالت: اعمل بما بعده ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾.

فقال: قد عفوت عنك.

فقالت الجارية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

قال ميمون: قد أحسنت إليك، فأنت حرة لوجه الله تعالى[٣] (انظر: القرطبي، جـ٤، ص٢٠٧)

٣ في رواية أخرى أن السيد الذي كظم غيظه هو جعفر الصادق رضي الله عنه

لقب الصادق الأمين انعكس على الصحابة

بعد فتح مكة أعطى رسول اللّه ﷺ المؤلفة قلوبهم من غنائم غزوة حنين عطاءً وجزلاً، انزعج شباب الأنصار ﷺ أجمعين فقالوا: يغفر اللّه لرسول اللّه، يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، وعندما بلغ هذا القول رسول اللّه ﷺ قال: "**مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ؟**"

الأنصار استحيوا من رسول اللّه ﷺ ونكسوا رؤوسهم من الخجل وقالوا: نعم قلنا مثلما سمعت لأنهم لا يقولون إلا صدقاً. (انظر: مسلم، زكاة، ١٣٤/ ١٠٥٩)

يقول حضرة أنس ﷺ، واللّه ما كل ما نحدثكم عن رسول اللّه ﷺ سمعناه منه، ولكن لم يكن يكذب بعضنا بعضاً. (الهيثمي، جـ١، ص١٥٣/ ٦٩٠)

حتى الأعداء يحسدونهم ويثقون بأخلاقهم الحسنى فهذا أبو سفيان يسأل بعد معركة أحد من بعيد، أنشدك الله يا عمر، أقتلنا محمداً؟ قال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر لقول ابن قمئة لهم: إني قد قتلت محمداً. (انظر: ابن هشام، جـ٢، ص٩٣-٩٤؛ الواقدي، جـ١، ص٢٩٦-٢٩٧)



إن هذا لهو المنظر العجيب المدهش حقا!! المشرك يصدق قول عدوه ليس قول مشرك مثله، لأن الإنسان المتحير يعتمد على شخص ثقة أمين.

جاء وفد من أهل اليمن إلى رسول اللّه ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلاً يعلمنا السنة والإسلام والقرآن الكريم فأخذ بيد أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فقال ﷺ:

"هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ" (مسلم، فضائل الصحابة، ٥٤/ ٢٤١٩؛ أحمد، جـ٣، ص١٤٦)

هذه القصة تظهر أن الصفات الشخصية من الصدق والثقة التي في الفرد تكون طريقة لنيل التفات النبي ﷺ إليه.

الكرم والإيثار كرياح الرحمة المباركة

الصحابة الكرام رضي الله عنهم الذين ربّاهم النبي ﷺ نالوا نصيباً كبيراً من كرمه وإيثاره.

يقول جابر رضي الله عنه:

لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ ذو مقدرة إلاّ **وقفا**. (انظر: ابن قدامة، المغني، جـ٦، ص ٣)

روى ابن حزم أن عبد اللّه بن عمر وحضرة فاطمة وبقية الصحابة رضي الله عنهم وهبوا حال حياتهم أموالاً كثيرة في



المدينة، وأن هذا أوضح وأشهر من الشمس ولا أحد إلا ويعرف عنهم **ذلك.** (عبد اليمان، فاطمة الزهراء، بيروت، ١٩٩٦، ص٣٣٠)

لقد وهب قائد الإسلام الكبير خالد بن الوليد ﵁ في سبيل اللّه كل دروعه وأدواته الحربية، قال النبي ﷺ: **"أَمَّا خَالِدٌ فَقَدْ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"** (انظر: البخاري، زكاة، ٤٩، ٣٣، جهاد ٨٩؛ مسلم، الزكاة، ١١)

يروي لنا أبو الحجاج الفزاري:

أن عبيد الله بن العباس خرج في سفر له، ومعه مولى له، حتى إذا كان في بعض الطريق، رفع لهما بيت أعرابي،

قال: فقال لمولاه: لو أنا مضينا فنزلنا بهذا البيت وبتنا به؟! قال: فمضى،

قال: وكان عبيد الله رجلاً جميلاً جهيراً، (وكان حضرة عبيد اللّه شخصية فريدة ذا وقار) فلما رآه الأعرابي أعظمه

وقال، لإمرأته: لقد نزل بنا رجل شريف! وأنزله الأعرابي، ثم إن الأعرابي أتى امرأته

فقال: هل من عشاء لضيفنا هذا؟

فقالت: لا، إلا هذه السويمة (الشاة) التي حياة ابنتك من لبنها.



قال: لا بد من ذبحها!

قالت: أفتقتل ابنتك؟

قال: وإن! قال: ثم إنه أخذ الشاة والشفرة وجعل يقول:

يا جارتي لا توقظي البنيه .. إن توقظيها تنتحب عليه

ثم ذبح الشاة، وهيأ منها طعاماً، ثم أتى به عبيد الله ومولاه، فعشاهما وعبيد الله يسمع كلام الأعرابي لإمرأته ومحاورتهما، فلما أصبح عبيد الله

قال لمولاه: هل معك شيء؟

قال: نعم، خمسمائة دينار فضلت من نفقتنا.

قال: ادفعها إلى الأعرابي.

قال: سبحان الله! أتعطيه خمسمائة دينار وإنما ذبح لك شاة ثمن خمسة دراهم؟

قال: ويحك! والله لهو أسخى منا وأجود، إنما أعطيناه بعض ما نملك، وجاد هو علينا وآثرنا على مهجة نفسه وولده.

قال: فبلغ ذلك معاوية، فقال: لله در عبيد الله! من أي بيضة خرج؟ ومن أي عش درج؟.فلقد أظهر لنا



عبيد اللّه أصله وفي أي بيت كريم تربى وكم هي حسنة أخلاقه!! (انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، بيروت ١٩٨٩، جـ٣، ص٤٢١؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٧، ٤٨٣-٤٨٤)

هذه القصة تلفت نظرنا ودقتنا وانتباهنا إلى أن عبيد اللّه ﵁ هو ابن عم رسول اللّه ﷺ وأبوه العباس.

سأل مسكين السيدة عائشة﵂ زوج النبي ﷺوهي صائمة . وليس في بيتها إلا رغيف.

فقالت لمولاة لها: أعطيها إياه.

فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه.

فقالت: أعطيها إياه.

قالت: ففعلت.

الخادمة تتابع القصة فتقول: فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت، أو إنسان، ما كان يهدي لنا، شاة وكفنها. فدعتني عائشة ﵂.

فقالت: كلي من هذا. هذا خير من قرصك (رغيفك).

(الموطأ، صدقة، ٥/ ٣٦٥٥)

روي أنّ حضرة ابن عمر ﵄ كان لا يأكل طعاماً إلاّ وعلى خِوَانِه (مائدته) يتيم. (انظر: أبو نعيم، حلية، جـ١، ص ٢٩٩؛ البخاري، الأدب المفرد، ١٣٦)



حضرة الحسن البصري كان قد عاصر الصحابة والتابعين يقول: لقد عهدت المسلمين، وإن الرجل منهم ليصبح فيقول: يا أهليه، يا أهليه، يتيمكم يتيمكم، يا أهليه، يا أهليه، مسكينكم مسكينكم، يا أهليه، يا أهليه، جاركم جاركم، وأسرع بخياركم وأنتم كل يوم ترذلون.

(البخاري، الأدب المفرد، جـ١، ص٦١/ ١٣٩)

اجتناب الإسراف

عن عبد اللّه بن محمد بن عقيل بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول اللّه ﷺ:

"يجزئ من الوضوء مد، ومن الغسل صاع"

فقال رجل: لا يجزئنا، فقال: قد كان يجزئ من هو خير منك، وأكثر شعراً، يعني النبي ﷺ. (ابن ماجه، الطهارة، ١/ ٢٧٠)

يروي لنا كثير بن عبيد مولى أبي بكر وأخو عائشة رضي الله عنها من الرضاعة. دخلت على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

فقالت: أمسك (انتظر في الخارج) حتى أخيط نقبتي، فأمسكت، فقلت: يا أم المؤمنين! لو خرجت فأخبرتهم لعدوه منك بخلاً!

قالت: أبصر شأنك (قل ما يحلو لك)؛ إنه لا جديد لمن لا يلبس الخلق.. (انظر: البخاري، الأدب المفرد، ٤٧١)





الحياة الإجتماعية

في مجتمع عصر السعادة

الحياة الاجتماعية

في مجتمع عصر السعادة

التعليم من أولويات الإسلام

الصحابة الكرام ﵃ كان شغلهم الشاغل التعلم والتعليم. رسول الله ﷺ لقد سَعَى لنشر الكتابة والقراءة بين المسلمين واستغل أية فرصة متاحة لهذه الغاية، ففي غزوة بدر مثلاً جعل فداء الأسير أن يعلّم عشرة من أطفال المسلمين القراءة والكتابة.

وقد بنيت مدرسة لتعليم القراءة والكتابة وكان المعلمون إما من الأسرى أو من الصحابة، وقد دعيت هذه المدرسة **بالكُتّاَب**[1]، وقد تم افتتاح عدة كتاتيب[2] في المدينة المنورة في ذلك العصر.

حوَّلَ الصحابة الكرام ﵃ بيوتهم إلى كتاتيب. وعندما امتلأ المسجد النبوي والصُّفَّة بالطلاب فتحت مدارس في بعض بيوت المدينة ودعيت بِدُور القراء، وبحسب الرواية

---

١ انظر: أ.د. حيمد الله بين الإسلام، جـ ١، ص١٤١

٢ انظر: أ. شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٣٨-٣٩



فإن الصحابي الجليل محرمة بن نوفل قد خصص بيته كاملاً أو جزءً منه لتعليم القرآن، وكان الصحابي الجليل عبد الله بن أم مكتوم ضيفاً في هذا البيت وعلّم القرآن.[٣]

وهذه رائطة بنت حيان من سبى هوازن، وهبها رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فعلمها شيئاً من القرآن. (انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، جـ٦، ص١٠٥؛ ابن حجر الإصابة، ٤-٢٩٢)

الأمانة والذمة في التجارة لا مثيل لها

من الصحابة الكرام رضي الله عنهم جرير بن عبد الله رضي الله عنه لما أراد أن يشتري حصاناً، طلب البائع خَمسمئَةِ درهم، الحصان كان أصيلاً ونال إعجاب جرير فرفع السعر بينً ست مائة درهم وثمان مائة درهم، وعندما سئل لماذا رفعت سعر الحصان وكان بمقدورك شراءَه بخمسمائة درهم؟

أجاب: لقد عاهدنا رسول الله ﷺ على أن لا نحتال في الشراء، والبائع لا يعرف قيمة الحصان.[٤]

سيطر رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدون في عصر

---

٣ انظر: الكتاني، التراتيب، جـ ١، ص٥٦؛ ابن عبد البر، الإستيعاب، جـ١، ص٢٤٧؛ المقريزي، المواعظ، جـ٢، ص٣٦٢ مصر ١٢٧٠هـ

٤ انظر: ابن حزم، المحلى، مصر، ١٣٨٩، جـ٩، ص٤٥٤



السعادة على السوق التجاري وسدّوا كل منافذ الغش والفحش والكسب غير المشروع، حتى أن رسول الله ﷺ منع التمركز في السوق واستملاك النقاط الهامة فيه حتى لا تتكون الامتيازات لبعضهم. وكذلك أمر بهدم خيمة البائع الذي خالف أوامر رسول الله ﷺ وأسّس خيمة في السوق بعد أن منع رسول الله ﷺ ذلك.[5]

في المؤاخاة ذاع صيتهم

كان رسول الله ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه فإن كان غائباً دعا له وإن كان شاهداً (الماكث في بيته) زاره وإن كان مريضاً عاده، ودعا له بالشفاء.[6]

آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين الذين هاجروا من مكة وبين الأنصار من أهل المدينة، فالمهاجرون تركوا أعمالهم وأموالهم وممتلكاتهم في سبيل دينهم، وهاجروا إلى المدينة، هذا البذل العظيم في العطاء من المهاجرين قابَلَه كرم الأنصار الجزيل.

وذلك عندما طلبوا منهم الحضور إلى المدينة

---

٥ انظر: السمهودي الوفا، مصر ١٤٢٧، جـ١، ص٥٤٠

٦ انظر: الهيثمي، جـ ٢، ص٢٩٥/ ٣٧٦١



ومشاركتهم في التجارة والربح، اقترح الأنصار على رسول الله ﷺ أن يقسم الأراضي الزائدة بين المهاجرين ولم يكتفوا بذلك بل اقترحوا تقسيم بساتين النخل بينهم وبين إخوانهم المهاجرين، فقالت الأنصار للنبيﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: "لا"

فأشار عليه الأنصار أن يعمل المهاجرون في السقاية والحرث مقابل المشاركة في المحاصيل، فوافق نبينا ﷺ على هذا الإقتراح ونال رضا جميع الحاضرين وقالوا: سمعنا وأطعنا. (انظر: البخاري، حرث، ٥/ ٢٣٢٥)

وعندما حل موسم الحصاد سارع الأنصار إلى جمع المحصول وتقسيمه إلى ثلثين وثلث وزادوا على الثلث جريد النخل حتى زاد عن حجم الثلثين، ثم طلبوا من المهاجرين أن يختاروا أحد هذين القسمين، طبعاً اختار المهاجرون القسم الذي يظهر أنه الأقل ليبقى للأنصار القسم الظاهر أنه أكبر، ولكنهم في الحقيقة أخذوا الحصة الكبرى من التمر، وأخذ الأنصار الحصة الصغرى وهو عكس الظاهر وبذلك نجحت خطة الأنصار في تفضيل المهاجرين على أنفسهم. (انظر: الهيثمي، جـ١٠، ص٤٠/ ١٦٥٢٦)



ذات يوم نادى رسول الله ﷺ على الأنصار أولاً لتقسيم أراضي البحرين، ضحّى الأنصار واستغنوا

وقالوا: يا رسول الله ﷺ إما أن تقسمها ثلثين لإخواننا المهاجرين وثلثا لنا أو لا تعطينا شيئا أبدا، عندها قال رسول الله ﷺ:

"إِمَّا لاَ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي، فَإِنَّهُ سَيُصِيبُكُمْ بَعْدِي أَثَرَةٌ"

وفي رواية اخرى:

"إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي وَمَوْعِدُكُمُ الحَوْضُ". (انظر: البخاري، مناقب الأنصار، ٨/ ٣٧٩٣/ ٣٧٩٤)

في الحقيقة والواقع إن ما ظهر من الأنصار من الإيثار يعتبر درجة متقدمة من الكرم ويدل على حسن أخلاقهم، وأنهم يفضلون إخوانهم على أنفسهم مع حاجتهم الشديدة إليه، لذلك فقد مدحهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَالَّذِينَ جَاؤُوا



مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر، ٩-١٠)

وفي عصر السعادة تحلى المؤمنون كُلّهُم بحسن الأخلاق وليس الأنصار فقط، لذلك فقد مدحهم الله تعالى[٧] لمراعاتهم الأخوة التي أقامها النبي ﷺ بينهم في الحضر والسفر.

كان رسول الله ﷺ يأخذ معه أحد الأخوين ويترك الآخر ليقوم بتلبية حاجات العائلتين والدفاع عن المدينة.[٨]

وكم هو معبر قول حضرة علي رضي الله عنه عن قضاء الحوائج، وهذا القول يعكس مفهوم الأخوة عنده فيقول:

((ما أدري أي النعمتين أعظم علي منة من ربي، رجل بذل مصاص وجهه إلي فرآني موضعاً لحاجته وأخرى الله قضاءها أو يسره على يدي، ولأن أقضي لامرئ مسلم حاجة أحب إلي من ملء الأرض ذهباً وفضة)). (علي المتقي، جـ٦، ص ٥٩٨/ ١٧٠٤٩)

---

٧ انظر: سورة الإنسان، ٨-١١

٨ انظر: علي كابار، تعامل محمد ﷺ مع المشركين، اسطنبول ١٩٨٧، ص ١٤٥



وصى حضرة أنس ابن مالك ﵁ أولاده بتقوية روح الأخوة وزيادة المحبة بينهم فقال: ((يا بني! تبادلوا بينكم؛ فإنه أود لما بينكم)) (انظر: البخاري، الأدب المفرد، جـ١، ص٢٢٢/ ٥٩٥)

عن ابن عباس ﵄، أنه كان معتكفاً في مسجد رسول الله ﷺ، فأتاه رجل فسلم عليه، ثم جلس.

فقال له ابن عباس: يا فلان أراك كئيباً حزيناً.

قال: نعم يا ابن عم رسول الله ﷺ، لفلان علي حق، لا، وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه.

قال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك.

قال: إن أحببت.

قال: فانتقل ابن عباس ﵄ ثم خرج من المسجد.

فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه.

قال: لا ولكني سمعت صاحب هذا القبر ﷺ والعهد به قريب فدمعت عيناه، وهو يقول:

"مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ وَبَلَغَ فِيهَا كَانَ خَيْرًا مِن اعْتِكَافِ عَشْرِ سِنِينَ، وَمَنِ اعْتَكَفَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ ثَلَاثَ خَنَادِقَ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ" (انظر: البيهقي، شعب، جـ٥، ص٤٣٥/ ٣٦٧٩؛ الهيثمي، جـ٨، ص١٩٢)



يتحدث ابن عمر رضي الله عنهما عن الأخوة في ذلك الزمن فيقول: لقد أتى علينا زمان أو قال: حين وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم، ثم الآن الدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"كَمْ مِنْ جَارٍ متعلقٍ بِجَارِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ، يَا رَبِّ! هَذَا أَغْلَقَ بَابَهُ دُونِي، فَمَنَعَ مَعْرُوفَهُ!" (انظر: البخاري، الأدب المفرد، ١١١؛ الهيثمي، جـ١٠، ص٢٨٥)

الرقة واللطافة والظرافة هي السائدة

مجتمع عصر السعادة مجتمع الرقة والظرافة واللطافة يتعاملون فيما بينهم بها ويعاملون المخلوقات الأخرى، لا يسيؤن إلى أحد ولا يجرحون مشاعرأحد خاصة في أثناء الحج والإحرام، وبعد أن لبسوا ملابسه النقية الشديدة البياض نالوا حصة من لطافة الملائكة.

في الإحرام حفظ المؤمنون والمؤمنات أنفسهم من الرفث بمقتضى الأمر الإلهي، في الطواف والسعي والوقوف دائماً وكانوا يغضون أبصارهم استحياء، وابتعدوا عن الفسق والجدال والصيد.



وأثناء الإحرام كانوا لا يصيدون ولا يدلون على مكان الصيد، لا يقطعون عشباً حتى أنهم كانوا لا ينتفون شعرة عن قصد. وبسبب تحريم بعض ما كان حلالاً والإبتعاد عن الشبهات، وبهذا كانوا يشعرون في أعماق قلوبهم كم أنه من الضروري الإبتعاد عن كل أشكال الشبهات والحرام. وكانوا يعاملون كل المخلوقات ضمن شعور محبة المخلوقات من أجل الخالق ومعاملتها بالمرحمة والشفقة. لأجل هذا دقت قلوبهم وسمَت إلى القمة في اللطافة والظرافة حتى نالوا بشرى الإسلام وهي الإبتسامة والوجه الضحوك.

وصى النبي ﷺ برعاية الحيوانات ونظافتها من الغبار وخاصة الأغنام والماعز فقال ﷺ:

"أَكْرِمُوا الْمَعْزَى، وَامْسَحُوا رُغَامَهَا، فَإِنَّهَا مِنْ دَوَابِّ الْجَنَّةِ" (انظر: الهيثمي، جـ٤، ص٦٦/ ٦٢٥٣)

روى سواد ابن ربيع مثالاً عن الرحمة واللطافة المدهشة فقال: أتيت النبي ﷺ فأمر لي بذود ثم قال لي:

"إِذَا رَجَعْتَ إِلَى أَهْلِكَ فَمُرْهُمْ فَلْيُقَلِّمُوا أَظْفَارَهُمْ لَا يَعْبِطُوا ضُرُوعَ مَوَاشِيهِمْ" (انظر: الهيثمي، جـ٥، ص ٢٥٩/ ٩٣٢٧)



أعلن رسول الله ﷺ المدينةَ المنورةَ وما حولها حرماً (منطقة محرمة) فلا يضرب على شجرها ولا يقطع أغصانها إلا في الحالات الضرورية فيمكن هزّ الشجرة برفق لإطعام الحيوانات فقال ﷺ:

"لَا يُخْبَطُ وَلَا يُعْضَدُ حِمَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَكِنْ يُهَشُّ هَشًّا رَفِيقًا" (انظر: أبو داود، جـ٢، ص٢١٧/ ٢٠٣٩)

روى أبو دعشم الجهني عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ، نظر إلى أعرابي وهو يخبط على غنمه، فقال:

"ائتوني بالأعرابي ولا تفزعوه". فلما جاء قال:

"يا أعرابي، هش هشاً ولا تخبط خبطاً".

قال: فكأني أنظر إلى الخيط على صلعته. (انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، بيروت، جـ ٥، ص٣٥٧/ ٦٤٢٥)

ويدعو النبي ﷺ دائماً أمته في كل مناسبة وفي كل معاملةٍ أن تتعامل باللطف والرحمة والظرافة.

قال الحبيب ﷺ عن النبات:

"ما من نبت ينبت إلا ويحفه ملك موكل به حتى يحصده، فأيما امرئ وطئ ذلك النبت يلعنه ذلك الملك"

(انظر: علي المتقي، كنز، جـ٣، ص٩٠٥/ ٩١٢٢)



الحياء والعفة

اتَّصَفَ أهل مجتمع عصرِ السعادةِ بالحياء والعفة واللطافة لذلك قال الله تعالى في كتابه العزيز فيهم:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور، ٣٠-٣١)



حسب رواية عائشة رضي الله عنها: يرحم اللّه نساء المهاجرات الأُول، لما أنزل الله عز وجل: ﴿...**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**...﴾ (النور،٣١) ، شققن مروطهن فاختمرن بها.

(انظر: البخاري، جـ٦، ص١٦١/ ٤٧٥٨، ٢٤/ ١٢؛ أبو داود، اللباس، ٣١-٣٣/ ٤١٠٢)

يُروى عن صفية بنت شيبة رضي الله عنها أنه عندما نزلت هذه الآيات الكريمة انقلب إليهن رجالهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته، وعلى كل ذي قرابة، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل فاعتجرت به، تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح معتجرات، كأن على رؤوسهن الغربان.- وقد تغطين من رؤوسهن حتى أقدامهن- (ابن كثير، تفسير، النور، ٣١)

الإختلاط بين الرجال والنساء الغرباء في مجتمع عصر السعادة، فكرة دقيقة وحساسة. فقد تم وضع خطة لإجتناب الإختلاط في الحياة الإجتماعية فكانت هناك مسافة أمان مناسبة دائماً بينهما، وأما التعامل فكان بشكل معين ومنضبط، لأن الإسلام يريد سد باب وسائل الفاحشة كما حرمها سابقاً، هكذا الإسلام أغلق طرق الخطيئة بوضعه

مسافة أمان بين الناس والفحشاء، عفا الإسلام النساء من صلاة الجماعة وصلاة الجمعة لأنه يهتم بمنع الاختلاط وأخبر رسول اللّه ﷺ أن صلاة النساء في بيوتهن أفضل لهن من المساجد.

قال رسول الله ﷺ:

"**خَيْرُ مَسَاجِدِ النِّسَاءِ قَعْرُ بُيُوتِهِنّ**" (أحمد، مسند، رقم ٢٦٥٤٢)

ولكنه لم يمنعهن إن أردن القدوم والصلاة في المسجد لكن بدون الإختلاط وفي صفوف خلفية خاصة بِهِنّ.

وبعد الصلاة كان النبي ﷺ ينتظر مدة بسيطة لعودة النساء إلى بيوتهنّ ثم يقوم ويتابعه الرجال وخاصة في صلاة الفجر. فعن عائشة رضي الله عنها:

«أن رسول الله ﷺ كان يصلي الصبح بغلس، فينصرفن نساء المؤمنين لا يعرفن من الغلس -أو لا يعرف بعضهن بعضا-» [٩]

قال رسول الله ﷺ عن باب المسجد النبوي:

"**لَوْ تَرَكْنَا هَذَا الْبَابَ لِلنِّسَاءِ**"

فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات. (انظر: أبو داود، ٥٣/ ٥٧١)

٩ انظر: البخاري، أذان، ١٦٢-١٦٦/ ٨٧٣



حضرت النساء إلى مصلى العيد في المكان المخصّص لهن، فلما فرغ نبي الله ﷺ من الخطبة والصلاة نزل، فأتى النساء، فَذَكَّرَهُنَ. (البخاري، العيدين، ٧-٨/ ٩٦١)

خرج النبي ﷺ مرة من المسجد فرأى اختلاط الرجال بالنساء، فقال النبي ﷺ:

"اسْتَأْخِرْنَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ عَلَيْكُنَّ بِحَافَّاتِ الطَّرِيقِ"

فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به. (أبو داود، الأدب، ١٦٧-١٦٨/ ٥٢٧٢)

وفي العهد الأموي وعندما رأت حضرة السيدة عائشة رضي الله عنها اختلاط الرجال بالنساء في المساجد، قالت:

«لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن كما منعت نساء بني إسرائيل». (البخاري، أذان، ١٦٣/ ٨٦٩)

الوجوه المبتسمة

سأل أحدهم حضرة سفيان بن عيينة المزاح هجنة؛ فقال: بل سنّة لأن رسول الله ﷺ قال:

"إني لأمزح ولا أقول إلا الحق". (نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، ٤-٢)



المزاح: هو فكاهة مداعبة سنة لكن بدون جرح المشاعر وإيلام القلب والأحاسيس بل لجذب القلوب.

يقول **ابن القيم الجوزية**: كان رسول الله ﷺ يمازح ويقول في مزاحه الحق، ويوري ولا يقول في توريته إلاّ الحق. (ابن القيم، زاد المعاد، جـ ١، ص١٥٧)

كان الصحابة الكرام ذا إحساس مرهف وسرور وهم يعرفون جيداً كيف ومتى وأين يمزحون وكذلك هم جديون كانوا في توسط واعتدال دائماً يتجنبون الإفراط والتفريط. قال بكر بن عبد الله: كان أصحاب النبي ﷺ يتبادحون بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال.

(انظر: البخاري، الأدب المفرد،جـ١، ص١١٧/ ٢٦٦)

صور لنا أبو سلمة بن عبد الرحمن حال الصحابة الكرام رضي الله عنهم فقال: لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ متحزقين (أي منقبضين)، ولا متماوتين (التخافت والتضاعف)، وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم، ويذكرون أمر جاهليتهم، فإذا أريد أحد منهم على شيء من أمر الله، دارت حماليق عينيه (مايسوده الكحل من باطن أجفانها) كأنه مجنون..

(انظر: البخاري، الأدب المفرد، جـ١، ص٢٠٩/ ٥٥٥)



قال ثابت ابن عبيد:

ما رأيت أحدا أجل إذا جلس مع القوم، ولا أفكه في بيته، من زيد بن ثابت. (انظر: البخاري، الأدب المفرد، جـ١، ص١٢٢/ ٢٨٦)

نظر عمر ﵁ إلى أعرابى قد صلى صلاة خفيفة، فلما قضاها، قال: اللهم زوجني بالحور العين؛ فقال عمر ﵁: يا هذا! أسأت النقد، وأعظمت الخطبة.(انظر: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤-٣)

يروي أبو بكر الثقفي أن الصحابة ﵃ كانوا يقرؤون قليلاً من القرآن وقليلاً من الشعر. (انظر: الكتاني، التراتيب، جـ٢، ص٢٣٦)

كان ابن عباس يقول لأصحابه إذا داموا في الدرس: أحمضوا أي ميلوا إلى الفكاهة، وهاتوا من أشعاركم، فإن النفس تمل كما تمل الأبدان؛ وبعدها يعود إلى درسه ويكرر هذا النظام وقت الحاجة إليه. (انظر: الكتاني، التراتيب، جـ٢، ص٢٣٧)

كان أبو الدرداء ﵁، إذا حدث حديثاً تبسم، فقالت زوجته أم الدرداء:

لا يقول الناس إِنَّكَ، أي: أحمق،؟ فقال:

ما رأيت، أو ما سمعت، رسول الله ﷺ يحدث حديثاً إلا تبسم (انظر: أحمد، جـ٥، ص ١٩٨-١٩٩/ ٢١٧٣٢)



كان عبد الله بن محمد من التابعين وصاحب شخصية فكاهية حتى أقصى الحدود، مازح مرة عمته السيدة عائشة ﵂ وهي على فراش الموت،

فقال: يا أمه كيف تجدينك جعلت فداك؟

قالت: هو والله الموت،

قال: فلا إذاً.

فقالت: لا تدع هذا على حال، تعني: المزاح (انظر: ابن سعد، جـ ٨، ص٧٦)





الخلاصة

كان رسول الله ﷺ رحمة مهداة للبشرية والخلائق في الكون، أضاء آفاق العالم المظلمة، بتشريفه السامي والعالي. ظهر صباح السعادة الجديد المنتظر من البشرية، أنار القلوب، فتح البصائر والبصيرة، نقّى سريان وسيلان الحياة المتكدر، وبفيض وبركة هذا النبي السامي ﷺ وَصَلَ العالم إلى الربيع الأبدي وأوصل الإنسانية إلى الشرف الحقيقي والنبالة والخير والإحسان والحق والمساواة. لقد علّم الإنسانية سر الحياة الخالدة الأبدية.

تربى هذا النبي السامي في مجتمع أمي لكن بإنزال الكتاب العزيز عليه أضاء مكتبات العالم، وملأ القلوب بالحكمة والأسرار والعلوم اللدنية، وبنزول هذا الكتاب المبارك بدأت المنابر والمحاريب والكراسي تعليم دروس حقيقة الحق سبحانه وتعالى، وهذا النبي نبي الرحمة ﷺ فصَّل لنا كتاب الكائنات الصامت وترجم ذكر وتسبيحات الألسنة المجهولة والسرية.



صار نبي الرحمة ﷺ سلطان قصر المحبة في القلوب لأنه أوصل المجتمعات إلى صفاتها الإنسانية بعد أن فقدتها وعاشت كمجتمعات حيوانية.

أظهر الله ﷻ من خلال شخصية رسول الله ﷺ الإنسان الكامل الذي أراده الإسلام وجعله قدوة حسنة وأسوة لكافة البشرية، وبلغهم أن حسن الأخلاق إنما يكون بالمعاملات والأخلاق التي رضي عنها وأوصلها عن طريق كلام رسوله المبارك وتطبيقه.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها جواباً لمن سألها كيف كان خلق النبي ﷺ؟ "كان خلقه القرآن". (انظر: مسلم، المسافرين، ١٣٩)

يُعَدُّ رسول الله ﷺ وبحق تفسيراً عملياً وفعلياً للقرآن الكريم الذي أنزل على قلبه الصافي الشريف، بكل حالاته وحركاته، وطوال عمره المبارك وكأنه قرآن حي. لذلك كرم الله تعالى نبيه واصفاً إياه بالخلق العظيم حيث يقول:

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ. وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم، ٣-٤)

أخلاق سيدنا رسول الله ﷺ الأمثل للبشرية جمعاء، ومتابعوه من الصحابة الكرام والأولياء، أدرك المؤمنون



أهمية المتابعة لرسول الله ﷺ حتى أنهم تحلّوا بأخلاق حميدة اتناسب شرف الإنسانية وعفتها.

نال الصحابة الكرام رضي الله عنهم شرف مدح الله تعالى لهم لأن قلوبهم شغفت بمحبة رسول الله ﷺ وطاعته في كل الخصوصيات، وتحلوا بأخلاق سيد البشر ﷺ،

يقول الله تعالى مادحاً إياه في كتابه العزيز:

﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة، ١٠٠)

لا يمكننا أن نكون من جيل الصحابة الكرام رضي الله عنهم ولكننا نستطيع أن ننال رضاء الله عز وجل بكوننا مؤمنين متابعين لهم ومن الذين وصفتهم الآيات:

﴿...وَالّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ...﴾ (التوبة، ١٠٠)

وهكذا فإن إمكانية المتابعة باقية ومستمرة طول حياتنا.



أولياء اللّه تعالى والذين جاؤوا بعد الصحابة الكرام في العصور التالية عكسوا لنا أخلاق رسول الله ﷺ لذلك ضرب الله بهم مثلاً وجعلهم نموذجاً لنا حيث قال في كتابه العزيز عنهم:

﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

ولهذه المكانة السامية التي خصّهم الله بها فقد وجب علينا متابعتهم حتى ننال نصيباً من هذا الضمان الإلهي **﴿...لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** (يونس، ٦٢)

إذن الصحابة الكرام رضي الله عنهم والأولياء أخذوا حصة من شخصية رسول الله ﷺ المباركة وبطريقة لائقة ومناسبة وفنوا فيه، لذلك انعكست عليهم جمالياته في كل المعاملات والحركات طول حياتهم، هذه المعاملات تعتبر نماذج الفضيلة المنعكسة من الأخلاق الحميدة لنور الموجودات ﷺ.

فأينما توجد الجماليات فهي انعكاس منه ﷺ، ولا تتفتح زهرة في هذا العالم إلا بنوره ﷺ الذي هو سبب وجودنا، وهو البرعم الإلهي المكون من نور تام لا يذبل بمرور الأيام بل يزداد نضارة وحيوية.



علينا كأمة النبي ﷺ أن نملأ قلوبنا بمحبته ﷺ تماماً مثل محبة الصحابة والتابعين ﷺ الذين تربوا في حلقات درسه وأن نسعى لتحصيل أخلاقه السامية العالية.

وعلينا أن نحيا في هذه الحياة الدنيا لإظهار جماليات رسولنا ﷺ والصحابة الكرام التي ستبقى مستمرة أبداً ولن تذبل بالرغم من مرور العصور والأزمنة.

نحن أمة محمد ﷺ فخر الكائنات؛ هذا شرف وسرور لنا، وعلينا أن نتحلى بالأخلاق الملائمة لهذا الشرف الكبير.

نشكر الله ﷻ بأن منَّ وتفضّل علينا نحن العاجزين بأن جعلنا مجاناً وبدون أن نبذل أية جهد من أمة سيدنا الحبيب الأكرم ﷺ، وهذا لطف من الله بنا، وحتى نؤدي حقيقة هذا اللطف، وحتى نتشرف بلفظ إخواني فعلينا التمسك بالسنة السنية والتحلي بالأخلاق الحميدة.

في الحقيقة لا يمكننا الإحاطة بسيدنا فخر الكائنات ﷺ وأخلاقه، لأنه ﷺ خارق للعادات متميز عن الخلق. وهذا العالم الصغير لا يكفي لإيضاح وإظهار حقيقة سيدنا فخر الكائنات محمد ﷺ كما أنه لا يمكن للبحر



الزاخر أن يتسع في كأس الماء.

شرحنا هذا لنفهم حقيقة عصر السعادة ما هو إلا ذرات صغيرة انعكست من جمالياته الفائقة الحدود إلى إدراكنا العاجز.

يا رب اجعل لقلوبناً نصيباً وحصة من الأخلاق العالية لرسول الله الأكرم وروحانيته وأَحْيِ قلوبنا بالإنصات العميق إلى الأفئدة المباركة التي تقول فداك أمي وأبي ونفسي يا رسول الله ﷺ ...آمين!





الفهرس









دار الأرقم
للنشـريات والمطبوعات

يمكنكم الآن تحميل 200 من الكتب الأسلامية بـ 23 لغة عالمية

على الحاسوب والأيفون وآيباد وكيندل من الإنترنت مجاناً

عربي- إنجليزي - فرنسي - الماني - إسباني- إيطالي - روسي - برتغالي - صيني - هنغاري - أوكراني - طاجيكي - ألباني - تتري - بلغاري - أوزبيكي - أذري - كازخي - جورجي - بشكير - أوغور - قرقيزي - أخازكي

ما عليك الآن إلاّ أن تكون مشترك في خدمة الإنترنت ولديك الهاتف النقال أو الأيباد أو الحاسوب الشخصي للدخول إلى مواقعنا المبينة أدناه وتحميل الكتب مجاناً حسب الطرق الموضحة أدناه

للكتب الإلكترونية:

ما عليك إلأ الدخول على الموقع **www.smashwords.com** واكتب كلمة Erkam في البحث مما يتيح لك زيارة موقع جميع كتب دار النشر (دار الأرقم) وتحميل أي كتاب تختاره مجاناً

لتحميل الكتب في الآيباد iPad:

ما عليك إلأ البحث عن iTunes في الحاسوب ومن خلال App Store اكتب كلمة Erkam في البحث مما يتيح لك زيارة موقع جميع كتب دار النشر (دار الأرقم) وتحميل أي كتاب تختاره مجاناً

لتحميل الكتب في الآيفون iPhone:

ما عليك إلأ البحث عن iTunes في الحاسوب ومن خلال App Store اكتب كلمة Erkam في البحث مما يتيح لك زيارة موقع جميع كتب دار النشر (دار الأرقم) وتحميل أي كتاب تختاره مجاناً



دار الأرقم



الأخلاق المثلى
لأولياء الله



الرحمة المهداة



الشخصية المثالية
محمد رسول الله ﷺ



التفكر في الكون
والإنسان والقرآن



سلسلة الأنبياء - ١
كتاب مدرسي



سلسلة الأنبياء - ١



الأنفاس الأخيرة



سلطان العارفين



أربعون حديثاً
مع حكايات للصغار



مائة سؤال وجواب



ديني العظيم ١
على المذهب المالكي



ديني العظيم ٢
على المذهب المالكي



السور المختارة
من القرآن الكريم



جزء عم



تعليم حروف الهجاء
الخط العثماني
الشافعي



الميزاب الذهبي
ألتون أولوك



العنوان:

▸ Address: Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi Atatürk
Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60/3-C Başakşehir, Istanbul
Phone: (+90 212) 671 07 00 Pbx   Fax:(+90 212) 671 07 48
www.islamicpublishing.org   info@islamicpublishing.org